# الحديث السادس والعشرون

قال رسول الله ﷺ :

« والذى نفسى بيده لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر ، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم ».

تخريجه :

الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الفتن : باب ما جاء فى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر ٤/٤٦٨ رقم (٢١٦٩) مِنْ حديث حذيفة بن اليمان مرفوعا، وعقب عليه بقوله: « هذا حديث حسن » .

وأحمد فى : المسند ٥/٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعا.

معناه :

خصَّ الله المسلمين بأنهم شهداء على النَّاس: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ [ البقرة :١٤٣ ]، ﴿ **مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ [ الحج :٧٨ ].

أى أنهم يحققون فى أنفسهم الخلافة أو العبودية بشقيها من السيادة والتقوى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [ البقرة : ٣٠ ]، ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)** ﴾ [ الذاريات ] ، ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾ [هود:٦١ ]، ﴿ **يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)** ﴾ [ الزمر ].

وكذلك يقومون بواجب دعوة الناس إلى الخير ونصْحهم وإرشادهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [ آل عمران :١٠٤ ]، ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [ آل عمران :١١٠ ].

ولا يصح للمسلمين أن يتوانوا فى أداء واجبهم نحو الناس من الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر وإلا لتحولت الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد، كما قال سبحانه: ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ** ﴾ [ البقرة : ٢٥١ ]، ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً** ﴾ [ الحج : ٤٠ ].

والحديث الذى نحن بصدد شرحه ، وبيانه الآن ، دعوة إلى القيام بواجب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر، وسبيل هذه الدعوة ، وبيان عاقبة التقصير أو التفريط فى هذا الأمر ، وهو نزول العقاب الإلهى بعموم، كما قال سبحانه: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً** ﴾ [ الأنفال : ٢٥ ]، بل عدم إجابة الدعاء : « ثم تدعونه فلا يستجاب لكم ».

وحتى لا يكون هناك أدنى مجال للشك أو الترهيب أقسم ﷺ بالله الذى بيده حياته، ومماته، ولا يعرف قيمة هذا القسم إلا من عرف رسول الله ﷺ وكيف كان حبُّه لربِّه، وتعظيمه له سبحانه وتعالى.

وحتى تتضح معالم الحديث بصورة أجلى وأظهر فإننا سنعرض له من عدَّة جوانب:

**الجانب الأول** : ماهية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

**الجانب الثانى** : فوائد القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

**الجانب الثالث** : عواقب التقصير فى القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

**الجانب الرابع** : حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

**الجانب الخامس** : شروط وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

**الجانب السادس** : آداب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

**الجانب السابع** : بعض النصوص الأخرى الواردة فى الحثِّ على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

**الجانب الثامن** : العوامل التى تساعد على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ودونك البيان :

## أولا : ماهية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

### أ ـ ماهية الأمر بالمعروف :

المعروف هو : اسم جامع لكل ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فيشمل الاعتقاد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر.

ويشمل العبادات من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والنكاح والطلاق، والرضاع، والحضانة، والنفقة، والعدة ونحوها.

ويشمل النظم والتشريعات من المعاملات المالية، والحدود، والقصاص، والعقود، والمعاهدات، ونحوها.

ويشمل الأخلاق من الصدق، والعدل، والأمانة، والعفة، والوفاء ونحوها.

وسمِّى معروفا لأن الفطر المستقيمة، والعقول السليمة تعرفه، وتشهد بخيره، وصلاحه.

ومعنى الأمر بالمعروف: الدعوة إلى فعله والإتيان به، مع الترغيب فيه، وتمهيد أسبابه وسبله بصورة تثبت أركانه، وتوطِّد دعائمه، وتجعله السمة العامة للحياة جميعا.

### ب ـ ماهية النهى عن المنكر :

والمنكر: اسم جامع لكل ما يبغضه الله ولا يرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فيشمل الشرك بكل ألوانه وصوره، ويشمل الأمراض القلبية من الرياء، والحقد، والحسد، والعداوة، والبغضاء ونحوها.

ويشمل تضييع العبادات من الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ونحوها.

ويشمل الفواحش من الزنا، والسرقة ، وشرب الخمر ، والقذف ، وقطع الطريق، والحرابة، والبغى ونحوها.

ويشمل الكذب، والجور والظلم، والخيانة، والخسة، والجبن ونحوها.

وسمى منكرا لأن الفطر المستقيمة، والعقول السليمة تنكره، وتشهد بشرِّه، وضرره، وفساده.

ومعنى النهى عن المنكر: التحذير من إتيانه وفعله، مع التنفير منه والصدّ عنه، وقطع أسبابه وسبله بصورة تقتلعه من جذوره، وتطهر منه الحياة جميعا[١].

ثانيا: فوائد القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

وللقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فوائد عدة، نذكر منها:

١ـ السلامة من العقاب الإلهى، والظفر برضوان الله وجنّته، إذ يقول سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) ﴾ [الأعراف]، ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [آل عمران]، ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) ﴾ [التوبة]، ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) ﴾ [المائدة].

٢ـ وحماية الأرض من أن تتحول إلى بؤرة من الشر والفساد، الأمر الذى يصعب معه تحقيق معنى العبودية لله عزّ وجلّ، إذ يقول سبحانه: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [التوبة: ٧١] فإن ذكر

---

(١) انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ٨٥، ٤/ ١٧٥، والبحوث الإسلامية للدكتور يوسف القرضاوى وآخرين ٣/ ٩ بتصرف.

الإيمان بالله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليوحى بهذا المعنى ، كأنما لا ينمو الإيمان بالله ، ولا تقام الصلاة ، ولا تؤدى الزكاة ولا تتحقق الطاعة لله ورسوله بصورة كاملة إلا فى جو من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويقول رسول الله ﷺ : « مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا مِنَ الماء مرُّوا على مَنْ فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ مَنْ فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجَوا، ونَجَوا جميعا »[1] .

٣ـ وإقامة الحجة على المصرِّين والمعاندين، فإن نفرا منَ الناس فى فطرتهم عوج، والتواء، وإصرار، وعناد، وأمثال هؤلاء لا يفيقون إلا فى وقت المحن والشدائد، والواجب نحوهم هو التذكير، ثم الإنذار والتخويف، حتى إذا نزلت الشدائد، وكان العقاب، لا يقولون: لو وجدنا مَنْ أرشدنا، ودلَّنا على الطريق لكنا أهدى الناس، وأقومهم قيلا؟ ومنْ ثمَّ يتوجهون إلينا بالتأنيب، والتوبيخ، والعتاب، ويحاجون الله تبارك وتعالى، وله سبحانه الحكمة البالغة، ولذا قال عن حكمة بعثه ﷺ إلى أهل الكتاب: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (١٩) ﴾ [ المائدة ]، وقال عن حكمة إرسال الرسل جميعا : ﴿ **رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ [ النساء : ١٦٥ ].

٤ـ وتنبيه الغافلين، وانتشال الغارقين من النَّاس، ولاسيَّما المسلمين، فإن الإنسان خلق يوم خلق فطرة بيضاء نقيَّة، لديها استعداد للخير، واستعداد للشرِّ: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** (٧) **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** (٨) ﴾ [ الشمس ]، والبيئة التى ينشأ فيها الإنسان أو التى تحيط به هى التى تساعد فى صنعه على شاكلتها، إن كانتْ خيِّرةً كان خيِّرًا، وإن كانتْ شريرةً كان شريرا: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[2] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٢٠ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب مَنْ يؤمر أن يجالس ٤/ ٢٥٩ رقم (٤٨٣٣)، والترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب منه ٤/ ٥٠٩ رقم (٢٣٧٨)، وأحمد فى: المسند ٢/ ٣٠٣، ٣٣٤ كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعا واللفظ لأحمد ، وعقب الترمذى على حديثه قائلا: « هذا حديث حسن غريب».

والناس اليوم ـ لاسيَّما المسلمون ـ يعيشون فى أجواء ساد فيها العفن، وسيطر عليها الشر، وعمَّ فيها الفساد وانتشر، الأمر الذى أدَّى إلى غفلة وسقوط كثيرين، وهؤلاء لهم على إخوانهم المسلمين المدركين لحقيقة الأمر حق التذكير، والعناية، والرعاية، لعلهم يتوبون ، أو يذكرون ، سيَّما وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء، وما يدرى؟ فلعله يكون مِنْ بين هؤلاء من يكون سببا فى فتح ونصر قريبين للمسلمين ، ولقد كانوا يقولون عن عمر بن الخطاب: لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب، وهداه الله وأسلم، وكان إسلامه فتحا وبركة، ويمنا ونصرا للمسلمين، بل كان باب حماية لهم لم يكسر، ولم يلج منه العدو إلا بعد موته.

وإلى هذه الفائدة والتى قبلها أشار ربُّ العزَّة فى كتابه قائلا: ﴿ **وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤)** ﴾

[ الأعراف ]

٥ـ وتكوين الرأى العام المسلم الحر الذى يحرس آداب الأمة، وفضائلها وأخلاقها، وحقوقها ، ويجعل لها شخصية وسلطانا هو أقوى من القوة، وأنفذ من القانون.

٦ـ وإثارة وبعث الإحساس بمعانى الأخوة، والتعاون على البرِّ والتقوى، واهتمام المسلمين بعضهم ببعض ، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠]، الأمر الذى يؤدى إلى الاعتزاز بالجماعة، والوحدة، ويحمى الحقوق والحرمات.

٧ـ وأخيرًا، فللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أثره التشريعى فى حراسة جميع الشئون العامة، والخاصة فى الأمة، إذ هو الأصل الذى اكتسبت منه كثير من التنظيمات والتشريعات الصفة القانونية ، واعتمدتْ عليه فى إنشاء أنواع المراقبات والتفاتيش المختلفة على الأسعار ، والغش، والمرور، والمبانى، والنواحى الصحية ، أو الشئون المالية، والإدارية ، والآداب العامة [١] . . . إلخ.

ثالثا: عواقب التقصير فى القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

وعلى ضوء ما قدمنا من فوائد القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإننا نستطيع أن نفهم عواقب التقصير فى هذا الواجب، وتتلخص فى :

---

(١) انظر : البحوث والدراسات للدكتور القرضاوى وآخرين ٣/ ١٢، ١٣ بتصرف.

١ـ التعرض للغضب والسخط الإلهى فى الدنيا المتمثل فى:

* اللعن والطرد من رحمة الله تعالى، مع التباغض والفرقة : عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إنَّ مَنْ كان قبلكم مِنْ بنى إسرائيل إذا عمل فيهم العامل الخطيئة، فنهاه الناهى تعذيرا، فإذا كان من الغد جالسه وواكله، وشاربه، كأنَّه لم يره على خطيئة بالأمس، فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصَوْا وكانوا يعتدون، والذى نفسى بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، ولتأخذن على أيدى المسىء، ولتأطرنه على الحقِّ أطرًا [(١)]، أو ليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم»[(٢)].

* تأمير الأشرار يسومون الناس سوء العذاب مع عدم إجابة دعاء الأخيار: عن أبى الرقاد قال: خرجتُ مع مولاى ، وأنا غلام ، فدفعتُ إلى حذيفة ـ يعنى ابن اليمان ـ وهو يقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير منافقا، وإنى لأسمعها مِنْ أحدكم فى المقعد الواحد أربع مرات: لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، ولتحاضُنَّ على الخير ـ أى ليحضَّ بعضكم بعضا على فعل الخير ـ أو ليسحتنكم[(٣)] الله جميعا بعذاب، أو ليأمرنَّ عليكم شراركم، ثمَّ يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[(٤)].

* الخذلان ، والهزيمة ، وتمكُّن العدو منَّا : عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال : « إذا رأيت أمتى لا يقولون للظالم منهم : أنت الظالم ، فقد تودِّع[(٥)] منهم »[(٦)].

---

(١) لتأطرنَّه على الحقِّ أطرًا: يعنى لتعطفنَّه ولتحملنَّه على الحقِّ حملًا، تقول: أطر الشىء يأطره أطْرًا يعنى: عطفه وثناه. انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ١/ ٣٤.

(٢) الحديث أورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب الفتن: باب وجوب إنكار المنكر ٧/ ٢٦٩ من حديث أبى موسى الأشعرى مرفوعا بهذا اللفظ، وعزاه إلى الطبرانى قائلا:«رواه الطبرانى، ورجاله رجال الصحيح».

(٣) أو ليسحتنكم الله جميعا بعذاب: أى: ليهلكنكم، ويستأصلكم، مشتق من السحت وهو: الإهلاك، والاستئصال. انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/ ١٤٩.

(٤) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند [ ١٩/ ١٧٣ الفتح الربانى] ، وقال عنه الشيخ الساعاتى فى: بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى ١٩/ ١٧٣ : «لم أقف عليه لغير الإمام أحمد بهذا اللفظ، وسنده جيِّد».

(٥) تودع منهم ـ بضم التاء والواو : مبنى للمجهول من التوديع، والمعنى: استريح منهم، وخذلوا، وخلِّى بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصى. انظر: الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى.

(٦) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند [ ١٩/ ١٧٥، ١٧٦ الفتح الربانى ] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا بهذا اللفظ، وأورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب الفتن: باب وجوب إنكار المنكر =

٢ـ تمكن الباطل وسيادته الأمر، الذى يؤدى إلى أن تتحول الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [ البقرة : ٢٥١ ] ، ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾ [الحج: ٤٠]، « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها . . . » الحديث [١].

٣ـ إعطاء الكسالى والمصرِّين من الناس المبرّر للقعود ، بدعوى أنهم لم يجدوا مَنْ يرشدهم ويأمرهم، وينهاهم، ويدلُّهم على الله.

٤ـ تضييع طائفة كبيرة من الناس تتمتع بنفس شفافة، وفطرة نقية، ولكن صرفتها عن الالتزام بالإسلام والعمل له صوارف الحياة، ولعل هذا والذى قبله مما نفهمه من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) ﴾ [ الأعراف ].

٥ـ موت الرأى العام المسلم الحر الذى يحرس آداب الأمة وأخلاقها وفضائلها، وحقوقها، ويجعل لها شخصية وسلطانا، هو أقوى من القوَّة وأنفذ من القانون .

٦ـ فقدان الناس لمعنى الأمن فى أنفسهم،وفى أهليهم، وذويهم، وأموالهم، الأمر الذى يؤدى إلى الكسل والتوانى بل والقعود عن أداء الواجب، وقد أشار الحديث إلى كل هذه العواقب فى قوله ﷺ : « . . .أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

رابعا : حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

وحكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الوجوب :

١ـ للأوامر الواردة بذلك صراحة أو ضمنا :

فمن الأوامر الواردة بذلك صراحة قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [ آل عمران ].

---

= ٧/ ٢٦٩، ٢٧٠ وقال: « رواه أحمد، والبزار، والطبرانى، وأحد أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح، وكذا إسناد أحمد، إلا أنَّه وقع فيه فى الأصل غلط » بيد أن الساعاتى عقب على الهيثمى فى: بلوغ الأمانى ١٩/ ١٧٦ بقوله: «الغلط الذى أشار إليه الهيثمى هو أنه جاء فى النسخة التى وقعتْ له: حدثنا الحسن عن عمرو، والصواب حدثنا الحسن بن عمرو، كما جاء فى نسختنا، وأورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب، وقال: رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبى،وأورده الحافظ السيوطى فى: الجامع الصغير وعزاه للإمام أحمد، والطبرانى فى : الكبير، والحاكم، والبيهقى فى: شعب الإيمان » .

[١] الحديث سبق تخريجه ص ١٢٠.

وقوله ﷺ : « والذى نفسى بيده لتأمرنَّ بالمعروف ، ولتنهونَّ عن المنكر ، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »[١]، «والذى نفسى بيده لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، ولتأخذن على أيدى المسىء، ولتأطرنَّه على الحقِّ أطرًا، وليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم»[٢]، «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »[٣].

فهذه النصوص جاءتْ بصيغة الأمر الصريح ، والأمر إذا أطلق يفيد الوجوب ما لم تكن هناك قرينة تصرفه عن الوجوب إلى غيره، ولا قرينة هنا، بل إن قيام الصحابة فَمَنْ بعدهم من المسلمين إلى عهد قريب جدا بهذا الأمر من غير توانٍ أو تقصير فيه، ودون أن تأخذهم فى الله لومة لائم لهو القرينة على أن الأمر على أصل وضعه من الوجوب.

ومن الأوامر الواردة بذلك ضمنا قوله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [ آل عمران: ١١٠ ]، ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ** ﴾[ التوبة : ٧١ ]، ﴿ **مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)** ﴾ [آل عمران]، ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)** ﴾ [ المائدة ].

وقوله ﷺ :«إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيِّروه أوشك أن يعمَّهم الله بعقابه»[٤]،

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٣٧ . (٢) الحديث سبق تخريجه ص ١٤٣ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان . . . إلخ ١/ ٦٩ (٤٩) ، والترمذى فى: السنن : كتاب الفتن : باب ما جاء فى تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب ٤/ ٤٠٧ ، ٤٠٨ رقم (٢١٧٢) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الإيمان وشرائعه : باب تفاضل أهل الإيمان ٨ / ١١١ ، ١١٢ ، وأحمد فى : المسند ٣ / ٢٩ ، ٤٩ ، ٥٤ .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن:كتاب الملاحم: باب الأمر والنهى ٤/ ١٢٢ رقم (٤٣٣٨) ، والترمذى فى: السنن : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة المائدة ٥/ ٢٥٦، ٢٥٧ رقم (٣٠٥٧)، وأحمد فى: المسند ١ / ٧ من حديث قيس بن أبى حازم قال: قام أبو بكر الصديق فقال: يأيها الناس، =

«مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء . . . » الحديث[١].

فهذه النصوص، وإن كانت مسوقة بصيغة الخبر لكنها تحمل فى طياتها معنى الأمر، بناء على القاعدة الأصولية المشهورة مِنْ أنَّ : « كل فعل كسبى عظَّمه الشرع، أو مدحه ، أو مدح فاعله لأجله ، أو فرح به ، أو أحبَّه ، أو أحبَّ فاعله . . . إلخ فهو مأمور به »[٢].

كأنه قال هنا : « مُروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، وآمنوا بالله تكونوا خير أمة أخرجتْ للناس . . . »، « مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطيعوا الله ورسوله يرحمكم الله . . . » ، « آمنوا بالله واليوم الآخر ومروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، وسارعوا فى الخيرات تكونوا من الصالحين مثل هذه الطائفة من أهل الكتاب »، «انهوا عن المنكر، وإلا كنتم ملعونين مثل الذين كفروا مِنْ بنى إسرائيل. . .»، «إذا رأيتم المنكر فغيِّروه، وإلا لعنكم الله كما لعن الذين كفروا مِنْ بنى إسرائيل على لسان داود، وعيسى ابن مريم. . .»، « قوموا على حدود الله، ولا تقعوا فيها وإلا فمثلكم كمثل ركاب السفينة الذين استهموا عليها. . .» .

وإنما سيقت هذه النصوص هكذا لتكون لفتة إلى أن المؤمن لكمال إيمانه، ولرقة إحساسه وشعوره ليس بحاجة إلى أمر صريح، وحسبه أن يعلم ولو مِنْ طرف خفىٍّ : أن هذا العمل يرضى عنه الله ورسوله ، فيبادر إلى الامتثال والتنفيذ، ويأتى الكتاب والسنة ليخبرا عنه بصيغة الخبر المقرون بالثناء والمدح، فتكون هذه مِنْ خصائص المؤمنين دون مَنْ عداهم من الناس.

٢ـ ولأن رسالته ﷺ وهو خاتم الأنبياء ، والمرسلين عالمية إلى قيام الساعة ، كما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [ الفرقان ] ،

---

= إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب»، وعقب الترمذى قائلا: « هذا حديث حسن صحيح ».

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٢٠.

(٢) انظر: الإمام فى بيان أدلة الأحكام للشيخ عز الدين بن عبد السلام: الفصل الثانى فى تقريب أنواع أدلة الأمر: المثال الثانى، والمثال التاسع والعشرين ص ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٢ .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [ الأنبياء ]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨)﴾ [ سبا ] ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [الأعراف : ١٥٨]، ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠ ].

وكما قال ﷺ عن نفسه : « . . . وكان النَّبيُّ يبعث إلى قومه خاصَّةً، وبعثت إلى الناس عامَّةً » (١).

والناس جميعا مخاطبون أن يعملوا بها، وينزلوا على حكمها: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [ الأعراف: ٣ ].

ومقتضى عالمية الرسالة إلى قيام السَّاعة مع هذا الخطاب أن يكون هناك بيان لكل ما أرشدت إليه هذه الرسالة من خير، وحذَّرتْ منه مِنْ شرٍّ إلى قيام السَّاعة كذلك، إذ أن الله عزَّ وجلَّ رحمة منه بعباده ما كان ليؤاخذهم قبل هذا البيان: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥)﴾ [ الإسراء ] ، ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٤)﴾ [ طه ] .

وقد بيَّن النبي ﷺ كلَّ ما أرشدتْ إليه هذه الرسالة مِنْ خير، وحذرتْ منه مِنْ شرٍّ بكل الأساليب والوسائل التى أتيحتْ له ،وعلى هذا مضى الصحابة والتابعون فمنْ بعدُ، ويجب أن يبقى الأمر على هذا النحو ما بقيت الحياة ، لاسيَّما وأنَّه ما يأتى زمان إلا وما بعده شرٌّ منه، والشرُّ لا يواجه بالسكوت ، وإلا لتحوَّلت الأرض إلى بؤرة مِنَ الشرِّ والفساد ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب التيمم : باب منه ١/ ٩١، ٩٢، وكتاب الصلاة : باب قول النبيِّ ﷺ : «جعلتْ لى الأرض مسجدا، وطهورا » ١/ ١١٩، وكتاب فرض الخمس: باب قول النبيِّ ﷺ: «أحلَّتْ لكم الغنائم» ٤/ ١٠٤ من حديث جابر بن عبد الله مرفوعا، ومسلم فى: الصحيح: كتاب المساجد، ومواضع الصلاة: باب منه ٢/ ٣٧٠، ٣٧١، رقم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله، ورقم (٥٢٣) من حديث أبى هريرة، ومنه: «فضلتُ على الأنبياء بستٍّ» بدل: «أعطيت خمسا لم يعطهنَّ أحد قبلى»، والترمذى فى: السنن: كتاب السير: باب ما جاء فى الغنيمة ٤/ ١٢٣ رقم (١٥٥٣) من حديث أبى هريرة، وعقَّب عليه بقوله:« هذا حديث حسن صحيح»، والنسائى فى : السنن: كتاب الطهارة: باب التيمم بالصعيد ١/ ٢٠٩ ـ ٢١١ من حديث جابر بن عبد الله، وأحمد فى: المسند ٢/ ٤١١، ٤١٢ من حديث أبى هريرة ، ٥/ ٢٤٨، ٢٥٦ من حديث أبى أمامة الباهلى، ولفظه كما عند البخارى فى التيمم: « أعطيت خمسا لم يعطهنَّ أحد قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجلٍ أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلتْ لى المغانم، ولم تحل لأحد من قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصَّةً، وبعثتُ إلى النَّاس عامَّةً».

[البقرة: ٢٥١]، ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [ الحج: ٤٠ ]، وإنما يواجه بالإيجابية التى تقضى عليه أو تحصره على الأقل فى دائرة محدودة لا يتعدّاها.

٣ـ وانطلاقا من مبدأ التضامن الاجتماعى بين الناس ، فإن الناس جميعا بينهم تضامن اجتماعى واجب، كل واحد يسعى فى مصلحة نفسه، ومصلحة الآخرين، ويجتهد فى دفع الشرِّ عن نفسه وعن الآخرين ، وما الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر إلا طريقان لحفظ هذا الواجب، إذن فهما واجبان من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٤ـ وانطلاقا من مبدأ الأخوة الإنسانية والإسلامية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [ النساء : ١ ]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [ الحجرات: ١٠ ]، ومقتضى هذه الأخوة أن يقوم كل أخ بدلالة أخيه على ما فيه مصلحته وسعادته فى الدنيا والآخرة، وأن يزجره عن كل ما فيه فساده وشقوته فى الدنيا والآخرة، ويكون ذلك منه على سبيل الوجوب لا على سبيل الندب والتطوع.

٥ـ وانطلاقا من الحقِّ ذاته، فإن لذات الحق حقوقا على الناس، ومن هذه الحقوق صيانته بكل ما يمكن من أساليب ووسائل وإلا ضاعت معالمه، وطمست آثاره . والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر من بين الأساليب والوسائل التى يتم بها حماية الحق ، إذًا فهما واجبان من باب : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

يقول الشيخ حسن البنا رحمه الله تعالى ـ فى تقرير هذه الأدلة الثلاثة الأخيرة :

«والمسوِّغات التى تجعل الإنسان يتدخل فى عمل غيره كثيرة:

أولا : التضامن الاجتماعى بين الناس... لأن المجتمع كبناء، إذا ما ظهر السوس فى جزء منه، أثر ذلك فى البناء كله، وبحكم أنك ستُضَرُّ بسوء تصرفه، فإن لك الحقَّ فى منعه، ويؤيد ذلك حديث رسول اللهﷺ : « مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا، ولم نؤذ مَنْ فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا »[1] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٢٠ .

فإذا ظهر الفساد فى المجتمع فإنه سوف يستشرى، ويشيع، وحينئذ ستتأثر أنت كما سيتأثر به هو، فكل حرية شخصية محدودة بحدود الغير، فحق هذا المتصرف فى عمله الشخصى محدود بأنه لا يؤذى غيره، وبما أن شرب الخمر مثلا يجعل منه قدوة، وتشيع الفاحشة ، فإن الحاكم ، وغيره من الناس ، مطالب بأن يتدخل للمنع بحقّ التضامن الاجتماعى .

ثانيًا : المسوغ الإنسانى البحت، الأخوة الإنسانية التى تجعلك أخى وأنا أخوك، هو أخى، وأنا أخوه، أتألم لألمه ، وأهتم لهمِّه ، واغتمُّ لغمِّه ، وأسرُّ لسروره ، وأجد من الحزن حين يحزن بحكم إننا جميعا أخوة مسلمون ، فهو حين يحتسى الخمر، ينفق ماله ويحرق دمه، ويذهب عقله، ويجنى على بيته ، وكلها نكبات ، فأنا سأحمل بعضها بحكم أخوتى له: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [ الحجرات: ١٠ ]، فبحكم الرابطة الإنسانية أنا لى الحق فى أن أتدخل فى حريته، فآمره بالخير، وأنهاه عن الشر .

ثالثًا : مسوغ الحقّ ، فالحق فى ذاته له حقوق على الناس ، فإن الحق هو الميزان الذى تقوم عليه السموات والأرض ، ومِنْ هنا كانت المبادئ السليمة تشترى بالدماء والمال، ويضحّى فى سبيلها لأنها حق ولأن للحق جندا، وأنصارا، وبما أن هذا العمل حق فأنا جنديه، وبما أن هذا الباطل ليس بحقٍّ فأنا خصمه، أهدمه، وأحطمه، بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [ آل عمران : ١٤٠]، ويقول أيضا: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ (٧١) ﴾ [ المؤمنون ].

فهذه كلها أيها الإخوة مسوغات، وما أجمل أن تشير الآية الكريمة إلى حقّ التضامن الاجتماعى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [ المائدة ] ، وهكذا ضمن القرآن الكريم إليك أنه من فعل الخير فقد ساقه إلى المجتمع كله، ومن عمل الشرّ فقد ساقه إلى المجتمع كله، وفى الحديث الصحيح:

«ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنَّه أول من سنَّ القتل»[١] ، وفى الحديث الشريف : « منْ دعا إلى هدى فله أجره ، وأجر منْ عمل به إلى يوم القيامة، لا ينقص ذلك منْ أجورهم شيئا، ومنْ دعا إلى ضلالة فعليه وزرها، ووزر منْ عمل بها إلى يوم القيامة ، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا » [٢] .

فالتضامن الاجتماعى أيها الأخوة هو الذى يفرض على الإنسان أن يتدخل . . . هو الذى يفرض عليك أن تتدخل لفعل الخير، وردِّ الشرِّ.

ومن هذا الأصل الاجتماعى تستمد النيابة العمومية حقها العمومى فى إقامة الدعوى العمومية؛ لأن النيابة نائبة عن المجتمع فى حقه الذى سيعود عليه من الخير أو الشرِّ. فكان هذا هو الأصل الذى قام عليه حق النيابة العمومية فى رفع الدعوى.

وأنت كذلك نائب عام بحكم وصفك الإسلامى كمسلم، تعلم أن خير المجتمع فى اتباع أحكام الإسلام، وتعلم أن شر المجتمع فى ترك أحكام الإسلام، وهذا يخوِّل لك أن تعيِّن من نفسك مدَّعيا عموميا تضرب على أيدى المعتدى لنزعه عن شرِّه حتى لا تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا.

وإذا اتضح هذا يا أخى . . . علمنا أن هناك مسوِّغات قوية لقيامك بهذا الدور . . . منها جمال الحقِّ . . . ورابطة الأخوة التى بيننا، فكل هذا يفرض علينا أن نتدخل لردِّ الشرِّ، وأن نأمر بفعل الخير، فإذا أقدم فرد على شرٍّ، فبحكم هذه الأخوة، وبحكم أنه أخوك، وسيقع فى مكروه فأنت ملزم بأن تردَّه عن هذا المكروه.

وقانون التضامن الاجتماعى الذى يربط المجتمع برابطة الأخوة، وإشاعة الحقِّ: كل ذلك يلغى فكرة الحرية الشخصية، ويجعلها لا تقوم إلى جانب الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر . . . »[٣].

٦ـ ولإجماع المسلمين من عصر الصحابة إلى يومنا هذا على وجوب الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر حتى وإن كان الآمر أو الناهى ليس ملتزما بما يأمر به، أو ينهى عنه.

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة ﴾ ٤ / ١٦٢ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب القسامة : باب بيان إثم من سن القتل ٣ / ١٣٠٣ رقم (١٦٧٧) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٢٧ .

(٣) انظر : حديث الثلاثاء للإمام حسن البنا ص ١٢١ ـ١٢٣ .

بيد أن هناك اختلافا فى مرتبة هذا الوجوب أو هذا الفرض :

فذهب فريق إلى أن مرتبة هذا الوجوب، أو هذا الفرض إنما هى الكفاية، يعنى إذا قام به البعض سقط الإثم أو الحرج عن الباقين.

ودليلهم على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [ آل عمران : ١٠٤ ].

إذ يقول هؤلاء، إنَّ «مِنْ» فى قوله: « منكم» للتبعيض، وهذا إن دلَّ على شىء فإنما يدل على أن الوجوب كفائى لا عينى.

وأيضا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يحتاجان إلى حكمة، وبصيرة، ورباطة جأش، وصبر، وهذه جميعا لا تتوافر فى كلِّ الناس فتبقى الحال على الوجوب الكفائى دون العينى.

وذهب فريق آخر إلى أن مرتبة هذا الوجوب أو هذا الفرض إنما هى العينية، يعنى الأمة كلها مطالبة بهذا الواجب ، يستوى فى ذلك الراعى والرعية، الرجال والنساء، الشباب والشيب، وحجتهم فى ذلك نفس الآية : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [ آل عمران : ١٠٤ ].

إذ قالوا: إن « مِنْ » فى الآية للبيان، ويكون المعنى كما يقول الطبرى:«ولتكن منكم أيها المؤمنون أمَّة أو جماعة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر . . .»[(١)].

وكما يقول ابن كثير: « والمقصود من هذه الآية : أن تكون فرقة منْ هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمَّة بحسبه، كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « منْ رأى منكم منكرا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »، وفى رواية:«ليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل »[(٢)].

---

(١) انظر : جامع البيان للإمام الطبرى ٤/ ٢٦.

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣٩٠، والحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان: باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان . . . إلخ ١ / ٦٩ رقم ٧٨ (٤٩) .

قالوا : وحتى على فرض أن « مِنْ » للتبعيض، فإنها تفيد كذلك الوجوب العينى، وكأن المعنى على هذا : أنتم أيها المؤمنون مكلفون جميعا بهذا الأمر، وعليكم فى سبيل تطبيق هذا التكليف أن تختاروا، وأن تنتخبوا بعضا أو طائفة منكم لتقوم بهذا الواجب، بل عليكم أن تؤازروها بتوفير حاجياتها التى تعينها على أداء مهمتها، وبالوقوف مِنْ وراثها، وحمايتها من سطوة كلِّ جبار عنيد، فالكل إذًا آمرٌ وناهٍ ولكن حسب طاقاته، وإمكاناته التى وهب الله عزَّ وجلَّ .

يقول الشيخ محمد عبده : « بقى علينا بيان معنى الآية على القول بأن « مِنْ » للتبعيض، وتقدير الكلام : ولتكن منكم طائفة متميزة تقوم بالدعوة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والمخاطب بهذا جماعة المؤمنين كافة، فهم المكلَّفون أن ينتخبوا منهم أمة تقوم بهذه الفريضة، فهاهنا فريضتان: إحداهما: على جميع المسلمين، والثانية: على الأمة التى يختارونها للدعوة، ولا يفهم معنى هذا حق الفهم إلا بفهم معنى لفظ الأمة، وليس معناه الجماعة كما قيل، وإلا لما اختير هذا اللفظ، والصواب : أن الأمَّة أخص من الجماعة، فهى الجماعة المؤلفة مِنْ أفراد لهم رابطة تضمهم، ووحدة يكونون بها كالأعضاء فى بنية الشخص. والمراد بكون المؤمنين كافة مخاطبين بتكوين هذه الأمة، لهذا العمل: هو أن يكون لكل فرد منهم إرادة وعمل فى إيجادها، وإسعادها، ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة، حتى إذا رأوا منها خطأ أو انحرافا أرجعوها إلى الصواب، وقد كان المسلمون فى الصدر الأول لاسيما زمن أبى بكر، وعمر، على هذا النهج من المراقبة للقائمين بالأعمال العامة، حتى كان الصعلوك مِنْ رعاة الإبل يأمر مثل عمر بن الخطاب - وهو أمير المؤمنين - وينهاه فيما يرى أنَّه الصواب، ولا بدع فالخلفاء على نزاهتهم وفضلهم ليسوا بمعصومين ، وقد صرّح عمر بخطئه ، ورجع عن رأيه غير مرَّة »[١].

واستدلوا أيضا بعموم الخطاب فى قوله ﷺ : « مَنْ رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »[٢]، وقوله : «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذنَّ على أيدى المسىء، ولتأطرنَّه على الحقِّ أطرا، أو ليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم . . .»[٣]، « والذى نفسى بيده لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[٤].

---

(١) انظر : تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ٤/ ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١٥٢ .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص ١٤٣ .

(٤) الحديث سبق تخريجه ص ١٣٧ .

والذى نراه جمعا بين الرأيين، وتوفيقا بين جميع النصوص ـ أن الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر واجبان عينيان على كل مسلم، غاية ما فى الأمر أن هذا الوجوب العينى قد يكون مباشرةً، وقد يكون بالواسطة فهو فى حقِّ القادرين المتأهلين واجب وجوبا مباشرا، وفى حقِّ العاجزين غير المتأهلين واجب وجوبا بالواسطة أو غير مباشر، على معنى أنه يجب على هؤلاء أن يقفوا وراء كل آمرٍ وناهٍ يشدون من أزره، ويوفرون له ولأهله، وأولاده كلَّ ضروريات الحياة.

خامسا : شروط وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

وشروط وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تتلخص فى:

١ـ التكليف، بأن يكون الآمر والناهى مسلما، بالغا، عاقلا، أما الإسلام فلأنَّه شرط التكليف ؛ ولأن الأمر والنهى نوع تسلط، ولا سلطان لكافر على مسلم. وأما البلوغ؛ فلأن الصغير غير مكلف، وإن صحَّ منه الأمر والنهى، وأما العقل؛ فلأنه مناط التكليف، وإذا زال زال معه التكليف.

٢ـ القدرة، لقوله تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [ البقرة : ٢٨٦].

٣ـ السلامة من الضرر ولو ظنا، بأن يغلب على ظنِّه أنَّه لا يصيبه ضرر لا يحتمله فى نفسه، أو ماله أو أهله، أو ولده، أو جماعته، فإن غلب على ظنِّه أنَّه سيتعرض لما لا يطيق من البلاء سقط الوجوب.

٤ـ العلم بوقوع المنكر، إذ الجاهل بوقوع المنكر معذور، ولا يجب عليه، بل لا يجوز له أن يتجسس، ويتكلف علمه.

٥ـ ألا يترتب على الأمر والنهى وقوع منكر آخر مماثل أو أكبر.

٦ـ أن يكون موضوع الأمر والنهى مما أجمع عليه المسلمون، وليس مما اختلفوا فيه ،فإذا اختلت هذا الشروط جميعها أو بعض منها فقد سقط الوجوب وأصبح الحكم دائرًا بين الاستحباب، أو الكراهة، أو الحرمة.

فيكون مستحبا فى الحالات التالية :

١ـ أن يغلب على ظنِّه عدم الفائدة من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وحينئذ يستحب له أن يأمر، وينهى ليبقى صوت الشرع مسموعا معلنا، يذكر الناس بأنه قائم حيٌّ لم يمت، وأنه للظالمين بالمرصاد ، وعسى أن يأتى اليوم الذى يتحقق فيه فائدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٢ـ أن يكون المنكر قد انتهى ، أو متوقعا ، فيستحبُّ له أن يعظ، وأن يذكر بالله، وبآلائه، ويخوّف من حسابه، وشديد عذابه، ويدعو لطاعته سبحانه، ويطمّع فى رحمته، وأنه يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات.

٣ـ أن يتوقع مكروها يمكنه احتماله فى نفسه ، أو جاهه ، وحينئذ يستحب له أن يأمر، وأن ينهى، وأن يصبر لتتوطد أركان الحقِّ ويعتز بأهله، قال تعالى: ﴿ **وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** (١٨٦) ﴾ [ آل عمران ] .

ويكون مكروها فى الحالتين التاليتين:

١ـ أن يترتب على الأمر والنهى منكر آخر مماثل ، وحينئذ يكره له أن يقوم بذلك، خشية أن تكثر المنكرات، وتتضاعف.

٢ـ أن ينكر أشياء يمنعها مذهبه، وتجيزها بعض المذاهب الإسلامية الأخرى ، ومحلُّ ذلك إذا كان كلُّ مذهب يعتمد الدليل فيما رأى دون التقليد الأعمى، ودون الاعتماد على الهوى.

ويكون حراما فى الحالات التالية :

١ـ أن يترتب على الأمر والنهى فتنة فى الأمة ، أو فساد أكبر، وحينئذ يحرم الأمر والنهى.

٢ـ أن يترتب عليه ضرر يصيب غيره من أهله، أو جيرانه فى أنفسهم أو حرماتهم، وحينئذ يحرم الأمر والنهى.

٣ـ أن يترتب عليه ضرر يصيبه فى نفسه ، ولايطيق احتماله ، وقد جاء فى الحديث : « لاينبغى للمؤمن أن يذلَّ نفسه » قالوا : وكيف يذل نفسه يا رسول الله ؟ قال: « يتعرض من البلاء لما لايطيق »(١).

وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : « إن قوما أمروا ، ونَهَوْا فكفروا » قيل له : كيف كفروا ؟ قال: « ابتلوا فلم يصبروا » (٢).

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الفتن : باب منه ٤/٤٥٣ رقم (٢٢٥٤) ، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الفتن : باب قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ ٢ / ١٣٣٢ رقم (٤٠١٦) كلاهما من حديث حذيفة.

(٢) انظر : البحوث الإسلامية للدكتور يوسف القرضاوى وآخرين ٣/ ٢٢ ـ ٢٥ بتصرف .

**سادسا : آداب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :**

وكما أن للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شروطا يجب تحققها، فكذلك له آداب ينبغى مراعاتها، وأهم هذه الآداب :

١ـ العلم : وأدناه العلم بالحلال والحرام، وأعلاه العلم بدقائق المسائل وتمييز المتفق عليه من المختلف فيه، ومعرفة الراجح مقرونا بدليله، وعليه فإن العامّى لا ينبغى له أن ينكر إلا الأشياء الظاهرة المحرمة ، كالغش ، وكالخمر ، وكالميسر ، وكترك الصلاة، وما أشبه ذلك .

أما دقائق المسائل ولاسيّما ماتعددت فيها المذاهب وتباينتْ فيها الأقوال، وللناس فيها سعة، فلا ينبغى الدخول فيها، وإلا كان الخطأ والوقوع فى الحرج.

٢ـ التقوى أو متانة الدين : ونعنى بذلك العمل بمقتضى العلم مع البعد عن الشبهات، ثم مراقبة الله على كلّ حال ، حتى يكون موضعا للثقة ، ومستحقا للمتابعة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)** ﴾ [ الصف ].

٣ـ الرفق أو التلطف : كما قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [ النحل :١٢٥ ] ، ﴿ **فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩)** ﴾ [ الكهف ] ، ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)** ﴾ [ طه ].

وكما جاء عن أصحاب عبد الله بن مسعود أن الواحد منهم كان إذا أنكر على إنسان قال له: « مهلًا رحمك الله »[١].

وعليه فإنه ينبغى له أن يستعمل أرفق الأساليب ،وأقربها إلى القبول فيؤثر الإشارة على العبارة،وقليل الكلام على كثيره، والسر على العلن،وبالجملة فإن عليه أن يشعر المنصوح بحبّه له، وحرصه عليه، حتى يكتسب ثقته، ويتحقق انقياده .

٤ـ الصبر والتحمل : لقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا**

---

(١) انظر : البحوث الإسلامية للدكتور يوسف القرضاوى وآخرين ٣/ ٢٧ ـ ٣٠ بتصرف .

الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾ [ فصلت ] ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾ [ السجدة ] ، ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) ﴾ [ لقمان ].

٥ ـ الإخلاص : بأن يريد بما يصدر منه وجه الله ، وإعزاز دينه ، ورحمة خلقه لا السمعة، والجاه، والمغنم ، والثناء ، والمحمدة ، وعلامة إخلاصه أن يكون زوال المنكر منْ تلقاء نفسه، أو بدعوة غيره أحب إليه منْ زواله على يده (١) .

سابعا : بعض النصوص الأخرى الواردة فى الحثّ على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

هذا وقد وردتْ نصوص أخرى فى الحثّ على الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر غير حديث الباب ، نذكر منها :

قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [ آل عمران ]، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [ آل عمران : ١١٠ ] ، ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ [ آل عمران ] ، ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [ التوبة: ٧١ ]، ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[الحج: ٤١]، ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾ [ المائدة ].

وقوله ﷺ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان » (٢) ، «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين

(١) انظر : البحوث الإسلامية للدكتور يوسف القرضاوى وآخرين ٣/ ٢٧ ـ ٣٠ بتصرف .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١٥٢.

فى أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على منْ فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا، ولم نؤذ منْ فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا »(١)، « إن منْ كان قبلكم من بنى إسرائيل إذا عمل فيهم العامل الخطيئة فنهاه الناهى تعذيرا، فإذا كان من الغد جالسه ، وواكله، وشاربه كأنه لم يره على خطيئة بالأمس ، فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم ببعض، على لسان داوُد، وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون ، والذى نفسى بيده لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونّ عن المنكر، ولتأخذن على أيدى المسىء ، ولتأطرنه على الحقّ أطرا ، أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم على بعض ، ويلعنكم كما لعنهم » (٢) ، إلى غير ذلك من النصوص.

ثامنا : العوامل التى تساعد على النهوض للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

هذا وهناك عوامل تساعد على النهوض للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، نذكر منها :

١ـ تذكر أنه أمر الله ورسوله ، ولايسع المسلم الصادق أمام أمر الله ورسوله إلا أن يقول : سمعنا ، وأطعنا : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)** ﴾ [ النور ].

٢ـ النظر فى الفوائد المترتبة على القيام بواجب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر: الفردية، والجماعية، والدنيوية، والأخروية، وبالمثل النظر فى العواقب المترتبة على التقصير فى القيام بهذا الواجب، فإن منْ أدرك فوائد فعل الشىء، وعواقب ترك هذا الشىء انبرى عاملا منفذا لتحصيل الفائدة، والتخلص من سوء العاقبة.

٣ـ دوام النظر فى الكتاب والسنة لمعرفة مصير الأمم التى أعرضتْ عن القيام بهذا الواجب، وحسن عقبى الأمم التى قامتْ بهذا الواجب، فإن ذلك يولّد فى النفس النسج على منوال المحسنين، وعدم محاكاة المقصرين أو المسيئين .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٢٠.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١٤٣.

٤ـ دوام المطالعة لتاريخ الأمة الإسلامية للوقوف على مدى عناية هذه الأمة بهذا الواجب، وعدم توانيها أو تقصيرها فيه لحظة واحدة إلى عهد قريب جدا، ونظام الحسبة خير شاهد على ذلك فضلا عن قيام كثيرين من أبناء هذه الأمة بهذا الواجب بصورة فردية من أمثال : سعيد بن جبير، والحسن البصرى، وأحمد بن حنبل ، والنووى ، وابن تيمية، والعزّ بن عبد السلام ، وعلاء الدين الجمالى ، والشيخ عليش وغيرهم وغيرهم، فإن ذلك من شأنه أن يحمل على الاقتداء والتأسى أو على الأقل : المحاكاة، والتشبُّه.

٥ـ اليقين بأن القيام بهذا الواجب لن يقصر من عمر أو يضيع من رزق كما أن القعود عنه لن يطيل من عمر أو يزيد فى رزق، فإن الآجال والأرزاق بيد الله عز وجل، ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) ﴾ [ الرعد ] ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤)﴾ [ الأعراف ]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾ [ الذاريات ] ، ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣) ﴾ [ الذاريات ].

٦ـ مجاهدة النفس لتتحلى بشروط وآداب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، الأمر الذى ييسر على النفس سبيل القيام بهذا الواجب من دون توانٍ ، أو تقصير.

**ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :**

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا عدّة فوائد ، نذكر منها :

١ـ عظم منزلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند الله ورسوله ، حتى إنَّ الله ليغضب على المقصرين فيه، المتهاونين به، غضبا يتمثل فى إنزال العقاب بهم ، وعدم إجابة دعائهم إذا هم دعوه .

٢ـ ضرورة إحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كلّ المستويات ، الفردية والجماعية ، الرسمية وغير الرسمية ، فإن به حياة النفوس ، وبقاء معالم الحق ماثلة للعيان، سليمة من أن يعبث بها العابثون ، أو يتطاول عليها المتطاولون .

٣ـ أهمية الإقناع فى التربية ، إذ به ينبرى المرء للتنفيذ دون أن يلوى على شىء ، ويتجلى ذلك فى الحديث فى القسم واللام والنون : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف . . . » .

٤ ـ اعتماد أسلوب التخويف من العاقبة فى التربية ، وهذا واضح فى القرآن الكريم ، فإن مادة الإنذار تكررت فى القرآن الكريم نحوا من مائة وعشرين مرة ، وقد سبق بيان ذلك فى آخر الحديث الثانى والعشرين .

# الحديث السابع والعشرون

قال رسول الله ﷺ :

« إنما الأعمال بالنية ، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

تخريجه :

الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ ١/ ١ ،وكتاب العتق: باب الخطأ والنسيان فى العتاقة والطلاق ونحوه ٣/ ١٩١ ، وكتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٥ / ٧٢ ، وكتاب النكاح: باب من هاجر أو عمل خيرا لتزويج امرأة فله ما نوى ٧/ ٤ ، وكتاب الطلاق : باب الطلاق فى الإغلاق والكره (الترجمة) ٧/ ٥٨ ، وكتاب الأيمان والنذور: باب النيّة فى الأيمان ٨/ ١٧٥ ، وكتاب الإكراه (الترجمة) ٩/ ٢٥ ، وكتاب الحيل: باب فى ترك الحيل ٩/ ٢٩ .

ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة : باب قوله ﷺ: « إنما الأعمال بالنية » ٣/ ١٥١٥ رقم (١٩٠٧).

وأبو داود فى: السنن: كتاب الطلاق : باب فيما عنى به الطلاق والديات ٢/ ٢٦٢ رقم (٢٢٠١) .

والترمذى فى : السنن : كتاب فضائل الجهاد : باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا ٤/ ١٥٤ رقم (١٦٤٧) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح ».

والنسائى: كتاب الطهارة: باب النية فى الوضوء ١/ ٥١ ، وكتاب الطلاق: باب الكلام إذا قصد به النية فى اليمين ٧/ ١٢ ، ١٣ .

وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد: باب النية ٢ / ١٤١٣ رقم (٤٢٢٧) .

وأحمد فى : المسند ١/ ٢٥، ٤٣، كلهم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ ، واللفظ للبخارى .

**سبب وروده :**

قيل فى سبب ورود الحديث : إنّه كان فى الصحابة رجل خطب امرأة يقال لها : «أم قيس»، وكان الوقت وقت الهجرة ، أى الانتقال من مكة إلى المدينة، فأبت عليه أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر لا يريد بذلك فضيلة الهجرة وإنّما من أجل أن يتزوجها، بل تزوجها بالفعل ، وأطلق عليه : « مهاجر أم قيس » .

وعلم الرسول ﷺ بذلك ، فأراد أن يلفت النظر إلى ضرورة إخلاص العمل ، والتوجه به إلى الله عز وجلّ وحده، ولما لم يكن من منهجه ﷺ فى النصيحة الإعلان بها، ونشرها على الناس، إلا إن جاهر بها صاحبها ، لما لم يكن من هديه ذلك ساق الكلام مساقا عاما، فقال : « إنما الأعمال بالنيات . . . » الحديث .

بيد أن الحافظ ابن حجر اعترض على سبب هذا الورود أثناء شرحه للحديث بما يفيد أن قصة مهاجر أم قيس وإن ثبتت بأسانيد صحيحة، فإنه ليس فيها التصريح بأنها سبب لورود حديث : « الأعمال بالنية » ، بل إنه لم يعثر على رواية فيها النص أو التصريح بذلك، وعبارته :

« وقصة مهاجر أم قيس ، رواها سعيد بن منصور ، قال : أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: من هاجر يبتغى شيئا فإنما له ذلك، هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها : أم قيس ، فكان يقال له : مهاجر أم قيس . ورواه الطبرانى من طريق أخرى عن الأعمش بلفظ : كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها: أم قيس ، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر ، فهاجر فتزوجها، فكنا نسميه : مهاجر أم قيس، وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، لكن ليس فيه أن حديث: « الأعمال بالنية » سيق بسبب ذلك، ولم أر فى شىء من الطرق ما يقتضى التصريح بذلك »(١).

وأقول : وحتى لو جاءت الروايات مصرحة بأنّ القصة المذكورة هى سبب ورود الحديث، فإنّه لا يتوقف عليها شىء فى فقه الحديث . نظرا لأن كل ما تساعد عليه هذه القصة ، إنّما هو التعليل لضرب المثل بالهجرة ، والمرأة ، وكذلك تحديد المراد باللفظ ،

(١) انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى ١/ ١٠ .

هل هو خاص أى مقصور على الشخص الذى قيل فيه ذلك ، فلا يتعداه إلى غيره؟ أو عام يتناوله ويتناول غيره من الناس إلى يوم الدين ؟

وهى أمور يمكن إدراكها وفهمها من خلال النصوص الأخرى المتفقة مع هذا الحديث فى المعنى .

كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [ البينة : ٥ ] ، ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [ مريم ]، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [ الكهف ]، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ [ الزمر ]، ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ الزمر ] ، ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ [ آل عمران : ٢٩ ] .

وكقوله ﷺ : « إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسادكم ، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم »[(١)] ، « من قاتل لتكون كلمة اللّه هى العليا فهو فى سبيل الله »[(٢)] ، « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا »[(٣)] ، « . . . والمهاجر

---

(١) الحديث جزء حديث طويل أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم ظلم المسلم وخذله ٤/١٩٨٦، ١٩٨٧ رقم ٣٣ ، ٣٤ (٢٥٦٤) ، وابن ماجه فى : السنن: كتاب الزهد : باب القناعة ٢/١٣٨٨ رقم (٤١٤٣)، وأحمد فى : المسند ٢/٢٨٥، ٥٣٩ كلهم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به ، وبنحوه .

(٢) الحديث جزء حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب العلم : باب من سأل وهو قائم عالما جالسا ١/٤٢، وكتاب الجهاد : باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٤/٢٤، ٢٥ ، وكتاب فرض الخمس: باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره ؟ ٤/١٠٥ ، وكتاب التوحيد: باب ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ٩ / ١٦٦ ، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة : باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٣/١٥١٣ رقم (١٥٠) ، وأبو داود فى: السنن: كتاب الجهاد: باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٣/١٤ رقم (٢٥١٧) ، والنسائى فى: السنن : كتاب الجهاد: باب من قاتل لتكون كلمة اللّه هى العليا ٦/٢٣ ، كلهم من حديث أبى موسى الأشعرى مرفوعا بلفظ: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » ، وبألفاظ أخرى نحو هذا اللفظ.

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجهاد: باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية ٤/٢٨، وباب لا هجرة بعد الفتح ٤/٩٢، وكتاب المغازى: باب غزوة الفتح ٥/١٩٣، ١٩٤، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها ٢/٩٨٦ رقم (٤٤٥)، وكتاب الإمارة : باب تحريم رجوع المهاجر ٣/١٤٨٨ رقم (٨٧) ، وأبو داود فى: السنن : كتاب الجهاد: باب فى الهجرة هل انقطعت ؟ ٣/٣، ٤ رقم (٢٤٨)، والنسائى فى: السنن: كتاب البيعة : باب ذكر الاختلاف فى انقطاع الهجرة ٧/١٤٥، ١٤٦، والدارمى فى: السنن : كتاب السير: باب لا هجرة بعد الفتح ٢/٢٣٩، كلهم من حديث ابن عباس مرفوعا به، وبنحوه، وزاد البخارى شواهد له من حديث عائشة، وابن عمر .

من هجر الخطايا والذنوب »[١] ، « ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء »[٢] .

فإن كل هذه النصوص ، أمارات دالة على أن المراد بلفظ الحديث إنّما هو العموم لا الخصوص، وعلى أن السبب فى ضرب المثل بالمرأة بعد الدنيا وهى داخلة فيها ، إنما هو الزيادة فى التحذير منها ؛ إذ الافتتان بها أشدّ، والتعلق بها أكثر ، وكذلك السبب فى ضرب المثل بالهجرة ، لكونها أشق شىء على النفس ؛ إذ هى تعنى أن يتخلص الإنسان من أهوائه وشهواته، فينتصر على جوازب الطين ، ونوازع الأرض، وذلك شاق وصعب على النفوس، من نجح فيه فقد نجح ، ومن أخفق فيه فقد أخفق .

معناه :

مضت سنّة الله فى خلقه وجرى قدره على عباده : أنّ سيادة الإنسان وسعادته فى هذه الأرض، ونجاته غدا بين يديه سبحانه وتعالى لن تكون إلا بالعمل، كما مضت سنّته، وجرى قدره : أنّه ليس كل عمل يوصل إلى ذلك ، ويؤدى إليه ، وإنّما العمل الذى يوصل إلى ذلك ، ويؤدى إليه ما جمع بين :

١ ـ الصلاح : أى أن يكون وفق ما شرع الله ، لئلا يتخبط الإنسان ، فتكثر عليه التكاليف ، ويضيع عمره هباء منثورا ؛ إذ الله وحده هو الذى يعلم الضار من النافع ، والمصلح من المفسد، وعليه، فإنه لا يشرع لهذا الإنسان إلا ما فيه مصلحته، أو منفعته: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [ البقرة : ٢٢٠] .

٢ ـ الإخلاص: أى أن يكون مرادا به وجه الله تعالى، بحيث إذا زالت الإمكانات البشرية ، وعجزت عن الوصول بالإنسان إلى المراد كان العون والمدد ، والتأييد الربانى، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾

[ الكهف ]

---

(١) الحديث جزء حديث أخرجه أحمد فى: المسند ٦/ ٢١، ٢٢ من حديث فضالة بن عبيد ﷺ مرفوعا ولفظه: «ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب النكاح : باب ما يتقى من شؤم المرأة ٧/ ١١ ، ومسلم فى: الصحيح : كتاب الذكر والدعاء : باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء ٤/ ٢٠٩٧ رقم (٩٧)، والترمذى فى : السنن : كتاب الأدب : باب ما جاء فى تحذير فتنة النساء ٥/ ١٠٣ رقم (٢٧٨٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح » ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب فتنة النساء ٢/ ١٣٢٥ رقم (٢٣٩٨)، وأحمد فى: المسند ٥/ ٢٠٠ ، ٢١٠، كلهم من حديث أسامة بن زيد ﷺ مرفوعا به ، واللفظ لمسلم .

والحديث الذى نحن بصدد شرحه الآن يدور حول واحد من هذين، إنه يدور حول الإخلاص ، إذ يرشد النبىﷺ من طرف خفى إلى ضرورة استحضار النية عند كلّ عمل، وأن تكون هذه النية خالصة لله تعالى، وكانت سبيله إلى هذا الإرشاد، بيان منزلة النية من الأعمال، وأنها بمثابة الأصل من الفرع، فيقول : « إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى » ، أى أن الأعمال تكتسب قيمتها ووزنها مما يقع فى القلب، ويصاحبها من مقاصد ونوايا، فإن كانت المقاصد والنوايا حسنة لا يراد بها إلا وجه الله وطاعة رسوله، كانت الأعمال ذات قيمة ووزن، ومقبولة عند الله تعالى يثاب عليها صاحبها الثواب الجزيل، فى الدنيا والآخرة، وإن كانت هذه النوايا، وتلك المقاصد سيئة، لا يراد بها إلا نيل عرض زائل من أعراض هذه الحياة الدنيا، كانت هذه الأعمال دانية، لا قيمة لها ولا وزن، ومردودة من الله على صاحبها، يعاقب عليها العقاب الشديد، فى الدنيا والآخرة .

وإن لم تكن نوايا ولا مقاصد، لم يكن ثمن لهذه الأعمال، وضاع العمر بلا طائل ولا فائدة، وحتى يؤكد النبىﷺ منزلة النية من الأعمال على النحو الذى ذكره، ضرب مثلا جامعًا من الواقع فقال: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »، أى إذا سلّمت أيها المخاطَبُ بما سبق أن ذكرته لك، فاعلم أن الهجرة ـ وهى عنوانُ وسمةُ الالتزام التام بهذا الدين ـ إن كانت طمعا فى مرضاة الله، وطاعة لرسوله، فهى مَرْضِىّ عنها من الله ورسوله، ويكافأ عليها صاحبها أحسن المكافأة، وإن كانت طلبا لعرَضٍ حقير من أعراض هذه الحياة الدنيا، أو طمعًا فى وصْل امرأة والزواج منها، فهى حقيرةٌ ، غير مرضىٍّ عنها من الله ورسوله، ويعاقب فاعلها أشد العقاب.

وحتى يبرز معنى الحديث بصورة أكثر جلاء ووضوحا، فإننا سنعرض له من الجوانب التالية:

الجانب الأول : بعض النصوص الواردة فى شأن ارتباط العمل بالنية.

الجانب الثانى : ميزان أو معيار الأعمال فى نظر الإسلام على ضوء الحديث.

الجانب الثالث : سلوكيات لا تتنافى مع النوايا الحسنة (الإخلاص).

الجانب الرابع : فوائد أو ثمرات النوايا الحسنة (الإخلاص).

وذلك على النحو التالى:

## أولا : بعض النصوص الأخرى الواردة فى شأن ارتباط العمل بالنية :

وبالإضافة إلى قوله ﷺ فى حديث الباب: « إنما الأعمال بالنية، وإنّما لكل امرئ ما نوى . . . » فقد وردت بعض النصوص الأخرى التى تؤكد ارتباط العمل بالنية ، نذكر منها قوله ﷺ : « من غزا فى سبيل الله ، ولم ينو إلا عقالا فله ما نوى » (١) ، « إن أكثر شهداء أمتى: أصحاب الفرش، وربّ قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته » (٢) ، « يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم »، قالت : قلت : يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم؟ قال : « يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم» (٣) ، «من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته

---

(١) الحديث أخرجه النسائى فى: السنن : كتاب الجهاد : باب من غزا فى سبيل الله ولم ينو من غزاته إلا عقالا ٦/ ٢٤، ٢٥، والدارمى فى: السنن: كتاب الجهاد : باب من غزا ينوى شيئا فله ما نوى ٢/ ٢٠٨، وأحمد فى : المسند ٥/ ٣١٥ ، ٣٢٠، ٣٢٩، كلهم من حديث عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعا به ، وبنحوه .

(٢) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ١/ ٣٩٧ من حديث إبراهيم بن عبيد بن رفاعة أن أبا محمد أخبره، وكان من أصحاب ابن مسعود حدثه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر عنده الشهداء فقال عليه الصلاة والسلام: « إن أكثر شهداء أمتى . . . » الحديث ، وأورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : كتاب الجهاد : باب رب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته ٥/ ٣٠٢ بإسناد أحمد المذكور وعقب عليه بقوله: « رواه أحمد هكذا ، ولم أره ذكر ابن مسعود، وفيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن وفيه ضعف ، والظاهر أنه مرسل، ورجاله ثقات ».

(٣) الحديث أخرجه البخارى «معلقا» فى: الصحيح: كتاب الحج: باب هدم الكعبة ٢/ ١٨٣ ووصله فى: كتاب البيوع: باب ما ذكر فى الأسواق ٣/ ٨٦ ، من حديث عائشة ﷺ مرفوعا به ، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الفتن: باب الخسف بالجيش الذى يؤم البيت ٤/ ٢٢٠٨ ـ ٢٢١١ رقم (٤ ـ ٨ ) من حديث أم سلمة وحفصة، وعائشة بنحوه، وبمعناه، وأبو داود فى: السنن: كتاب المهدى ٤/ ١٠٨ رقم (٤٢٨٩) من حديث أم سلمة مختصرا، والترمذى فى: السنن: كتاب الفتن: باب منه ٤/ ٤٦٩ رقم (٢١٧١) من حديث أم سلمة مختصرا، وقال عقبه : «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » ، وقد روى هذا الحديث عن نافع ابن جبير، عن عائشة أيضا ، عن النبى ﷺ فى : باب ما جاء فى الخسف ٤/ ٤٧٨ رقم (٢١٨٤) من حديث مسلم بن صفوان عن صفية ﷺ مرفوعا بنحوه،وعقب عليه قائلا: « هذا حديث حسن صحيح »، والنسائى فى: السنن: كتاب الحج: باب حرمة الحرم ٥/ ٢٠٦ ، ٢٠٧ من حديث أبى هريرة، وحفصة مرفوعا بمعناه ، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الفتن: باب جيش البيداء ٢/ ١٣٥٠، ١٣٥١ رقم (٤٠٦٣ ـ ٤٠٦٥ ) من حديث حفصة، وصفية، وأم سلمة ﷺ مرفوعا بمعناه ، وأحمد فى: المسند ١/ ١٠٥، ٢٥٩، ٢٨٥ ، ٢٨٦، ٢٩٠ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، من حديث عائشة، وحفصة، وأم سلمة ، وصفية ﷺ مرفوعا بنحوه وبمعناه .

عيناه حتى أصبح، كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربّه» (١) ، « يا عبد الله ابن عمرو، على أى حال قاتلت أو قتلت، بعثك الله على تلك الحال» (٢)، إلى غير ذلك من النصوص .

## ثانيا : ميزان أو معيار الأعمال فى نظر الإسلام على ضوء الحديث :

والميزان أو المعيار الذى توزن به أو تقاس الأعمال فى نظر الإسلام، على ضوء الحديث، إنما هو النيّة :

فمن قصد بكل ما يصدر عنه من سلوكيات وتصرفات ربّه وحده دون رياء أو شرك ، فهذا الذى وقع منه ذو قيمة كبيرة ، ومآله الرضى والقبول من الله سبحانه وتعالى ، ومن قصد به غير ربه ، فلا قيمة له ، ومآله الردّ ، وعدم القبول ، وهذا هو ما تضمنّه الحديث، إذ جاء فيه: «. . . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه » ، وهو كذلك ما تضمنته نصوص أخرى كثيرة :

إذ يقول سبحانه فى كتابه الكريم: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩)** ﴾ [ الإسراء ]، ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠)**﴾ [الشورى] ، ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا (١١٢)**﴾ [ طه ]، ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)**﴾ [ هود]، ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣)**﴾ [الفرقان] .

---

(١) الحديث أورده النسائىّ فى: السنن: كتاب قيام الليل وتطوع النهار: باب من أتى فراشه وهو ينوى القيام فنام ٣/ ٢٥٨، وابن ماجه فى: السنن: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ١/ ٤٢٦ ، ٤٢٧ رقم (١٣٤٤) كلاهما من حديث أبى الدرداء ﷺ يبلغ به النبى ﷺ بهذا اللفظ، وأورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب: باب الترغيب فى الإخلاص والصدق ، والنية الصالحة ١/ ٦٠ رقم (٢٧) وعقّب عليه بقوله : « رواه النسائى وابن ماجه بإسناد جيد، ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى ذرّ أو أبى الدرداء ، على الشك» .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الجهاد: باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٣/ ١٤ ، ١٥ رقم (٢٥١٩) من حديث عبد الله بن عمرو، مرفوعا به .

وإذ يقول النبى ﷺ وقد سأله أعرابى، عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، ويقاتل ليُرَى مكانه ، من فى سبيل الله ؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا، فهو فى سبيل الله»(١) ، كما يقول لعبد الله بن عمرو ـ وقد سأله: يا رسول الله، أخبرنى عن الجهاد والغزو ؟ فقال : « إن قاتلت صابرا محتسبا، بعثك الله صابرا محتسبا، وإن قاتلت مرائيا مكاثرا، بعثك الله مرائيا مكاثرا، على أىّ حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال»(٢) ، «الغزو غزوان، فأمّا من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإنّ نومه ونبهه، أجر له، وأمّا من غزا فخرا ورياء وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد فى الأرض، فإنّه لم يرجع بالكفاف»(٣) ، «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لايتعلّمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنّة يوم القيامة»(٤) ، يعنى ريحها، « من طلب العلم ليجارى به العلماء، أو ليمارى به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله النار »(٥) ، « إن أول

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٦٣ . (٢) الحديث سبق تخريجه ص ١٦٧ .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن: كتاب الجهاد: باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا ٣/ ١٣، ١٤ رقم (٢٥١٥)، والنسائى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فضل الصدقة فى سبيل الله عزوجل ٦/ ٤٩، ٥٠، وكتاب البيعة : باب التشديد فى عصيان الإمام ٧/ ١٥٥، والدارمىّ فى: السنن: كتاب الجهاد: باب الغزو غزوان ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩، وأحمد فى: المسند ٥/ ٢٣٤، والحاكم فى: المستدرك: كتاب الجهاد: باب من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام ٢/ ٨٥، كلهم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا به ، وبنحوه ، وعقب الحاكم على روايته قائلا : «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» وأقره الذهبى على ذلك فى: التلخيص .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب العلم: باب فى طلب العلم لغير الله تعالى ٣/ ٣٢٣ رقم (٣٦٦٤)، وابن ماجه فى: السنن: المقدمة: باب الانتفاع بالعلم والعمل ١/ ٩٢، ٩٣ رقم (٢٥٢)، وأحمد فى: المسند٢/ ٣٣٨، كلهم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به .

(٥) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب العلم: باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا ٥/ ٣٢، ٣٣ رقم (٢٦٥٤)، من حديث كعب بن مالك وقال بعده: «هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق ابن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوى عندهم، تكلّم فيه من قبل حفظه» ، وابن ماجه فى : السنن: المقدمة: باب الانتفاع بالعلم والعمل به ١ /٩٣ رقم (٢٥٣) ،من حديث ابن عمر، وأورده البوصيرى فى: مصباح الزجاجة ١/ ٣٧ وعقّب عليه قائلا : « هذا إسناد ضعيف، لضعف حماد بن عبد الرحمن، وأبى كرب، ورواه الترمذى فى جامعه من حديث كعب بن مالك، وقال : « حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه»، بيد أن ابن ماجه أورد له شاهدا بعده مباشرة من حديث أبى الزبير عن جابر ابن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: « لا تعلّموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيّروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار» وعقّب البوصيرى على هذا الشاهد قائلا: «هذا إسناد رجاله ثقات على شرط مسلم، رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق ابن أبى مريم به، ورواه الحاكم فى: المستدرك من طريق ابن أبى مريم أيضا مرفوعا ومرسلا»، والدارمى فى : السنن : المقدمة: باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ١/ ١٠٤، ١٠٥ مقطوعا من حديث مكحول، وأحمد فى: المسند١/ ١٩٠على أنه من وصايا لقمان .

الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار، ورجل تعلم العلم، وعلّمه، وقرأ القرآن، فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم ، وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها، إلا أنفقت فيها لك ، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقى فى النار» [١] .

هذه النصوص وغيرها كثير، دالّة بجلاء ووضوح على أن العمل إذا كان لله فهو مقبول، وإذا كان لغيره فهو مردود .

أما إذا وقع العمل على سبيل الشركة بين الله، وبين النفس أو الخلق، فإن كانت الشركة من أصل العمل، أو بدايته، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه، إذ يقول النبى ﷺ:

«يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى، تركته وشركه» [٢]، وفى رواية: « فأنا منه برىء، وهو للذى أشرك» [٣]، «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لاريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك فى عمل عمله

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح : كتاب الإمارة: باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ٣/١٥١٣، ١٥١٤ رقم (١٩٠٥) ، والنسائى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب من قاتل ليقال: فلان جرىء ٦/٢٣ ، ٢٤، وأحمد فى: المسند ٢/٣٢١، ٣٢٢ كلهم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به، وبنحوه، واللفظ لمسلم.

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق : باب من أشرك فى عمله غير الله، وفى نسخة : باب تحريم الرياء ٤/٢٢٨٩ رقم (٢٩٨٥) ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد: باب الرياء والسمعة ٢/١٤٠٥ رقم (٤٢٠٢) ، كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به ، وبنحوه ، واللفظ لمسلم ، وأورده البوصيرى فى: مصباح الزجاجة ٤/٢٣٦، وعقب عليه قائلا: « هذا إسناد صحيح رجاله موثقون، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه، والبيهقى . . . » .

(٣) هى رواية ابن ماجه المذكورة فى الحديث السابق .

لله، فليطلب ثوابه من عند غير الله عزّ وجلّ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[١]، «إن الله عزّوجلّ يقول: أنا خير شريك، فمن أشرك معى شريكا فهو لشريكه، يأيها الناس أخلصوا أعمالكم لله عزّ وجلّ ، فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أخلص له، ولا تقولوا : هذا لله وللرحم ، فإنها للرحم ، وليس لله منها شيء ، ولاتقولوا : هذا لله ولوجوهكم، فإنها لوجوهكم، وليس لله منها شيء »[٢] .

وأتى رجل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر؟ فقال رسول الله ﷺ : « لاشيء له » فأعادها عليه ثلاث مرات، يقول له رسول اللّه ﷺ : « لا شيء له »، ثم قال : « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا، وابتغى به وجهه »[٣] .

وقال رجل : يا رسول الله ، إنى أقف الموقف أريد به وجه الله، وأريد أن يرى موطنى، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت الآية: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ** ﴾ الآية [ الكهف : ١١٠ ][٤].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الكهف ٥/ ٣١٤ رقم (٣١٥٤)، وقال عقيبه : « هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث محمد بن بكر»، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٦ رقم (٤٢٠٣) ، وأحمد فى : المسند ٣/ ٤٦٦، ٤/ ٢١٥، كلهم من حديث أبى سعيد بن أبى فضالة، وكان من الصحابة، مرفوعا، واللفظ لابن ماجه .

(٢) الحديث أورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب: باب الترغيب فى الإخلاص والصدق ، والنية الصالحة ١/ ٥٥ رقم (٨) من حديث الضحاك بن قيس ﷺ مرفوعا به، وعقّب عليه قائلا: «ورواه البزّار بإسناد لابأس به، والبيهقى ، لكن الضحّاك بن قيس مختلف فى صحبته، وأورده ابن رجب فى: جامع العلوم والحكم ص١٣، وعزاه إلى البزّار فى : المسند » .

(٣) الحديث أخرجه النسائى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب من غزا يلتمس الأجر والذكر ٦/ ٢٥ من حديث أبى أمامة الباهلى ﷺ مرفوعا به، وأورده ابن رجب فى: جامع العلوم والحكم ص١٣ ، ١٤ قائلا: «وخرج النسائى بإسناد جيد عن أبى أمامة الباهلى ﷺ أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال . . . الحديث » ، وأورد الحاكم شاهدا له: فى المستدرك: كتاب الجهاد: باب لا أجر لمجاهد يبتغى متاع الدنيا ٢/ ٨٥ من حديث أبى هريرة ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد فى سبيل الله، وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا، فقال رسول الله ﷺ : « لا أجر له » فسأله الثانية والثالثة فقال رسول الله: «لا أجر له» ثم عقب عليه قائلا : « هو حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وأقره الذهبى فى: التلخيص.

(٤) الحديث أخرجه الحاكم فى: المستدرك: كتاب الجهاد: باب سبب نزول آية: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ** ﴾ ٢/ ١١١ من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعا به وعقّب عليه قائلا: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وأقره الذهبى فى: التلخيص .

وإن كانت النية فى أصل العمل أو بدايته لله ، ثم طرأت عليها نية الرياء ، فإن الأنظار فى قبول هذا النوع من العمل تتفاوت:

ففريق يقول بالقبول مع نقص الأجر، مستدلا بقول النبى ﷺ : « إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثى أجرهم، فإن لم يغنموا شيئا تم لهم أجرهم »(١).

وفريق يقول بالبطلان والرد ، مستدلاً بعموم النصوص التى ذكرناها آنفا .

ولعل القول الأخير هو الصحيح الراجح، حتى يبقى مقام الألوهية سليما، محفوفا بما يجب لها من التوقير والإجلال.

## ثالثا: سلوكيات لا تتنافى مع النوايا الحسنة ( الإخلاص ) :

ومع ما قدمنا عن ميزان أو معيار الأعمال فى نظر الإسلام على ضوء الحديث، فإنّ هناك سلوكيات لا تتنافى ولا تتعارض مع النوايا الحسنة (الإخلاص) نذكر منها:

١ـ الظهور أمام الناس بالمظهر الحسن، فى البدن أو الثوب، أو فى النعل، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [ الضحى ].

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرّة من كبر » ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة ، قال : « الكبر بطر الحق وغمط الناس»(٢)، يعنى : أنّ حسن المظهر مما يحبّه الله تعالى ، وليس من الكبر الذى يحمل فى طياته معنى الرياء أو سوء النِّية.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة: باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم ٣/ ١٥١٤، ١٥١٥ رقم (١٥٣، ١٥٤)، من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «ما من غازية تغزو فى سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثلثى أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم»، والنسائى فى: كتاب الجهاد: باب ثواب السرية التى تخفق ٦/ ١٨، وابن ماجه فى: السنن : كتاب الجهاد: باب النية فى القتال ٢/ ٩٣١ رقم (٢٧٨٥)، وأبو داود فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فى السرية تخفق ٣/ ٨ رقم (٢٤٩٧)، وأحمد فى: المسند ٢/ ١٦٩، وأورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب: باب الترغيب فى إخلاص النية والجهاد ٢/ ٣٠٠ رقم (١٤).

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب الإيمان : باب تحريم الكبر وبيانه ١/ ٩٣، رقم (١٤٧) ، وأبو داود فى: السنن: كتاب اللباس: باب ما جاء فى الكبر ٤/ ٥٩ رقم (٤٠٩١، ٤٠٩٢)، وابن ماجه فى: السنن. المقدمة: باب فى الإيمان ١/ ٢٢، ٢٣ رقم (٥٩)، وكتاب الزهد: باب البراءة من الكبر والتواضع ٢/ ١٣٩٧ رقم (٤١٧٣)، وأحمد فى: المسند ٢/ ١٦٤، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود، مرفوعا به، وبمعناه، إلا أحمد فإنه عنده من حديث عبد الله بن عمرو، واللفظ لمسلم . ومعنى «بطر الحق»: إنكار الحق، ودفعه ترفّعا وتجبّرا ، أما« غمط الناس»: فهو احتقارهم وازدراؤهم . انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ١/ ٨٣، ٣/ ١٧١ .

٢ـ الفرح أو السرور بالهداية والتوفيق إلى الطاعة، وتقوى الله سبحانه وتعالى، والحزن أو الغم للخذلان ومعصيته جل وعلا، إذ يقول النبى ﷺ: «... من سرّته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن »[١].

٣ـ الإتيان بالنوافل من الطاعات، كالصدقة، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، على مرأى ومسمع من الناس بهدف بثّ روح الاقتداء، والتأسى فى نفوسهم، إذ يقول أبو عمرو جرير بن عبد الله البجلى: كنا عند رسول الله ﷺ فى صدر النهار، فجاء قوم عراة، مجتابى النمار ـ أو العباء ـ متقلدى السيوف، عامّتهم من مضر، بل كلّهم من مضر، فتمعّر رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل، ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام، فصلّى ثم خطب فقال:

« ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ [الحشر]، تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برّه، من صاع تمره »، حتى قال: « ولو بشق تمرة »، فجاء رجل من الأنصار بصرّة، كادت كفّه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام، وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلّل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «من سن فى الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »[٢].

---

(١) الحديث جزء من حديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الفتن: باب ما جاء فى لزوم الجماعة ٥/٤٦٥، ٤٦٦ رقم (٢١٦٥)، من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا به، وقال عقيبه: «هذا حديث حسن صحيح، غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبى ﷺ »، وأحمد فى: المسند ١/١٨، ٢٦ من حديث عمر، وأورد له شواهد ٣/٤٤٦ من حديث عبد الله بن ربيعة، ٤/١٢ ومن حديث أبى رزين العقيلى ٤/٣٩٨ ومن حديث أبى موسى ٥/٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٦، ومن حديث أبى أمامة ﷺ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الزكاة: باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ٢/٧٠٤، ٧٠٥ رقم (١٠١٧)، وكتاب العلم: باب من سن سنة حسنة أو سيئة ٤/٢٠٥٩، ٢٠٦٠ رقم (١٥)، والترمذى فى: السنن: كتاب العلم: باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع، أو إلى ضلالة ٥/٤٣، ٤٤، وقال: « هذا حديث حسن صحيح »، وابن ماجه فى: السنن: المقدمة: باب من سن سنة حسنة أو سيئة ١/٧٤ رقم (٢٠٣)، وأحمد فى: المسند ٤/٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦١، كلهم من حديث جرير بن عبد الله البجلى ﷺ مرفوعا به، وبنحوه، مطولا ومختصرا.

٤ـ الإعلان عن النفس، بل التقدم لحمل الأمانة، ورفع الراية، عند خلو الساحة أو الميدان، إذ يحكى سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام قوله : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [ يوسف ] .

وأثر عن خالد بن الوليد أنَّه لما أرسل مددا إلى الجيش الإسلامى فى اليرموك، وجد الجيوش متفرقة، فجيش أبى عبيدة وعمرو بن العاص ناحية، وجيش يزيد وشرحبيل ناحية، فقام خالد فى الناس خطيبا، فأمرهم بالاجتماع، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، فاجتمع الناس، وتصافّوا مع عدوهم فى أول جمادى الآخرة، وقام خالد ابن الوليد فى الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال:

«إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى، أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، وإن هذا اليوم له ما بعده، لو رددناهم اليوم إلى خندقهم، فلا نزال نردّهم، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبدا، فتعالوا فلنتعاور الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غدا، والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم، ودعونى اليوم إليكم، فأمّروه عليهم. . . »[١].

فكل من يوسف وخالد ، طلب حمل الأمانة ؛ لأنه يريد إنقاذ موقف ، وتفادى ضرر، وليس هناك من يؤدى هذه المهمة على وجهها الصحيح سواه، وقد صدّق الواقع ما طلبه كل واحد من هذين، فيوسف أنقذ مصر وأهلها من مجاعة محققة، وخالد أنقذ جيش المسلمين من هزيمة أمام الروم لا يعلم عقباها إلا الله عزّ وجلّ، وما كان هذا شرخا أو خدشا فى نواياهما الطيبة، أو إخلاصهما لحظة واحدة.

## رابعا: فوائد أو ثمرات النوايا الحسنة ( الإخلاص ) :

وللنوايا الحسنة ( الإخلاص ) فوائد أو ثمرات ، نذكر منها :

### ١ـ أنها تكون سببا فى تحصيل مرضاة الله عزّ وجلّ، وقبول العمل :

قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف ] ، وقال ﷺ: « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض » [٢].

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٧.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه فى: السنن: المقدمة: باب فى الإيمان ١/ ٢٧ رقم (٧٠) من حديث أنس بن =

وإذا رضى الحق سبحانه وقبل العمل، كانت المكافأة التى تتمثل فى :

أ ـ الإمداد بالقوة أو بالطاقة التى تعين على مواصلة المسيرة، والمضى فى الطريق إلى نهايتها، بل والتغلب على كل ما فيها من عقبات، وعثرات، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ [العنكبوت ] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾ [النحل ].

يقول النبى ﷺ : « يقول الله تبارك وتعالى: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحبّ إلىّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنّه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله تردّدى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » (١).

وإن واقع الأنبياء، والمرسلين، ومن تابعوهم على الطريق من أصحاب الدعوات يؤكد ذلك، إذ كان الواحد منهم يواصل الليل بالنهار فى العمل آمادا بعيدة، دون ضعف أو وهن، أو استكانة، ولا مبرر لذلك سوى العون والمدد الإلهى، النابعين من الإخلاص، والصدق، أو النية الصالحة. وفى سير أبى بكر، وعمر بن الخطاب، وعمر ابن عبد العزيز، وابن تيمية، وابن القيّم، والنووى، ورائد الحركة الإسلامية فى العصر الحديث، ما يصدّق ذلك.

---

= مالك مرفوعا به، وأورده البوصيرى فى: مصباح الزجاجة ١/ ١٢ وعقب عليه بقوله: « هذا إسناد ضعيف، الربيع ابن أنس ضعيف هنا، قال ابن حبان فى الثقات: الناس يتّقون حديثه ما كان من رواية أبى جعفر عنه ؛ لأن فى أحاديثه عنه اضطرابا كبيرا ، رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده » وأورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب : باب الترغيب فى الإخلاص والصدق، والنية الصالحة ١/ ٥٣ من حديث أنس ابن مالك مرفوعا به، وعقّب عليه بقوله : « رواه ابن ماجه والحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين » .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الرقاق: باب التواضع ٨/ ١٣١ من حديث أبى هريرة مرفوعا به، وأحمد فى: المسند ٦/ ٢٥٦ من حديث عائشة ﵂ مرفوعا بلفظ: «قال الله عزّ وجلّ : من أذل لى وليا فقد استحل محاربتى، وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء الفرائض، وما يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، إن سألنى أعطيته، وإن دعانى أجبته، ما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى على وفاته لأنه يكره الموت، وأنا أكره مساءته ».

ب ـ النجاة من المحن والشدائد ، ويتجلّى ذلك بوضوح فى سيرة الأنبياء والمرسلين :

فهذا نوح عليه السلام ينجّيه الله من الغرق قائلا : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٥) ﴾ [ العنكبوت ] ، ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ [ هود: ٤٨ ].

وهذا إبراهيم عليه السلام يلقى فى النار فيحوّلها الله إلى جنة أو واحة: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) ﴾ [ الأنبياء ]

وهذا لوط عليه السلام يلجأ إلى الله مخلصا النية ساعة الشدة قائلا: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) ﴾ [ هود ]، فيجيبه رب العزّة: ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) ﴾ [ العنكبوت ].

وهذا أيوب عليه السلام يهتف من أعماقه : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) ﴾ [الأنبياء]، فيستجيب له ربّه ، ويكشف بلواه : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤) ﴾ [ الأنبياء ] .

وهذا موسى عليه السلام يقول له قومه وقد أحاط بهم الخطر من كل ناحية : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) ﴾ [ الشعراء ]، فيرد عليهم قائلا : ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) ﴾ [الشعراء ]، وحينئذ تكون النجاة: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) ﴾ [ الشعراء ].

وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، يمكر به المشركون ليلة الهجرة، وينجّيه الله عزّ وجلّ فلا يصاب بأذى أو سوء : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) ﴾ [ الأنفال ].

وكان النبى ﷺ فى غزوة مع بعض أصحابه فأدركتهم القائلة فى واد كثير العضاة، فتفرّق الناس فى العضاه يستظلون بالشجر، فنزل النبى ﷺ تحت شجرة، فعلّق بها سيفه، ثم نام، فاستيقظ وعنده رجل وهو لا يشعر به، فقال النبى ﷺ: « إن هذا اخترط سيفى »، فقال: من يمنعك ؟ قلت: « الله »، فشام السيف فها هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه [(١)].

كما يتجلّى بوضوح فى سير وأخبار العاملين بعد النبيين، وحديث أصحاب الغار يصدّق ذلك، إذ يقول النبى ﷺ:

«بينما ثلاثة نفر يتمشّون أخذهم المطر، فآووا إلى غار فى جبل، فانحطّت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله، فادعوا الله - تعالى - بها، لعلّ الله يفرجها عنكم، فقال أحدهم: اللهم إنّه كان لى والدان شيخان كبيران، وامرأتى، ولى صِبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدى، فسقيتهما قبل بنىّ، وأنه نأى بى ذات يوم الشجر، فلم آت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقى الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمىّ، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء، ففرج الله منها فرجة، فرأوا منها السماء.

وقال الآخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عم أحببتها، كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فتعبت حتى جمعت مائة دينار، فجئتها بها، فلما وقعت بين رجليها، قالت: يا عبد الله، اتّق الله، ولا تنتح الخاتم إلا بحقّه، فقمت عنها، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا منها فرجة، ففرج لهم.

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجهاد: باب من علق سيفه بالشجر فى السفر عند القائلة، وباب تفرّق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر ٤/٤٧ - ٤٩، وكتاب المغازى: باب غزوة أنمار، وباب غزوة بنى المصطلق من خزاعة ٥/١٤٦ - ١٤٨، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الفضائل: باب توكله على الله تعالى، وعصمة الله تعالى له من الناس ٣/١٧٨٦، ١٧٨٧ رقم (١٣، ١٤)، وأحمد فى: المسند ٣/٣١١ كلهم من حديث جابر مرفوعا به وبنحوه.

وقال الثالث: اللهم إنى كنت استأجرت أجيرا بفرق أُرُزٍّ، فلما قضى عمله قال: أعطنى حقى، فعرضت عليه فرقه، فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها، فجاءنى فقال: اتق الله، ولا تظلمنى حقى، قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها، فقال: اتّق الله ولا تستهزئ بى، فقلت: إنِّى لا أستهزئ بك، خذ ذلك البقر ورعاءها، فأخذه فذهب به، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى، ففرج الله ما بقى »[1].

جـ ـ الثبات والطمأنينة وسكينة النفس عند نزول المحن والشدائد، بل وعند طول أو استمرار أمدهما، يقول تعالى عن أهل الكهف وهم يجهرون بالحق فى وجه الطغيان: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) ﴾ [الكهف]، ويقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) ﴾ [فصلت]، ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُم ﴾ إلى قوله: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾ [الأنعام].

وقد حقق المولى ذلك فى بدر فقال سبحانه: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ﴾ [الأنفال].

وفى الحديبية، فقال: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) ﴾ [الفتح].

وفى حنين، فقال: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ

---

[1] الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب البيوع: باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضى ٣/١٠٤، ١٠٥، وكتاب الإجارة: باب من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه المستأجر... ٣/١١٩، ١٢٠، وكتاب الحرث والمزارعة: باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم، وكان فى ذلك صلاح لهم٣/١٣٨، ١٣٩، وكتاب الأنبياء: باب حديث الغار ٤/٢٠٩، ٢١٠، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال ٤/٢٠٩٩ ـ ٢١٠١ رقم (٢٧٤٣)، وأحمد فى: المسند ٢/١١٦، كلهم من حديث عبد الله بن عمر ﷺ مرفوعا، واللفظ لمسلم.

**اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)** ﴾ [ التوبة ] .

د ـ جمع القلوب على المخلص أو صاحب النية الحسنة، وربطها أو تعلقها به: «إن اللّه إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إنى أحب فلانا فأحبه» قال: « فيحبه جبريل، ثم ينادى فى السماء فيقول: إن اللّه يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء » قال: «ثم يوضع له القبول فى الأرض . . . » الحديث[1] .

وعن أبى ذر ﷺ قال: قلت للنبىﷺ : الرجل يعمل العمل للّه، فيحبه الناس عليه؟ قال: « ذلك عاجل بشرى المؤمن »[2] .

ويوم أن يتحقق ذلك للمسلم يكون نجاحه فى القيام بمهمة وواجب الدعوة إلى اللّه تعالى .

هـ ـ الظفر بالحكمة، بل ونفاذ البصيرة: ﴿ **وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [ البقرة : ٢٦٩ ]، وهذه ثمرة فى غاية الأهمية، لما يترتب عليها من إصابة الحق فى الأمور المشكلة .

بل وحماية الصف من الأدعياء أو الدخلاء: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا** ﴾ [ الأنفال : ٢٩ ].

و ـ حصول فوائد وثمرات العمل حتى لو وقع العمل خطأ ما دام الخطأ غير مقصود : عن أبى هريرة ﷺ عن النبىﷺ قال: « قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية ، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، قال: اللهم لك الحمد على زانية ، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى ، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غنى، قال: اللهم لك الحمد على غنّى، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدّق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، وعلى غنى ، وعلى سارق، فأتى فقيل

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الأدب: باب المقت من اللّه تعالى ٨/ ١٧، ومسلم فى: الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب إذا أحب اللّه عبدًا حببه إلى عباده ٤/ ٢٠٣٠ رقم (٢٦٣٧)، كلاهما من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعا، واللفظ لمسلم، ولم يذكر البخارى البغض.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب الثناء الحسن ٢/ ١٤١٢ رقم (٤٢٢٥) ، وأحمد فى: المسند ٥/ ١٦٨، كلاهما من حديث أبى ذر ﷺ مرفوعا، واللفظ لابن ماجه.

له: أما صدقتك فقد قبلت، أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها، ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته»(١).

وعن أبي يزيد معن بن يزيد بن الأخنس ﷺ - وهو وأبوه وجده صحابيون - قال: كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها، فوضعها عند رجل في المسجد، فجئت فأخذتها، فأتيته بها، فقال: والله ما إياك أردت، فخاصمته إلى رسول الله ﷺ فقال: «لك ما نويت يا يزيد، ولك ما أخذت يا معن» (٢).

ز - جريان الأجر أو الثواب عليه، إن انقطع العمل لعذر أو لأسباب خارجة عن إرادته: «إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم حبسهم المرض» (٣)، وفي رواية: «إن أقواما خلفناهم بالمدينة، ما سلكنا شعبا ولا واديًا إلا وهم معنا حبسهم العذر» (٤)، «إذا مرض العبد أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل مقيما، صحيحًا» (٥)، «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الزكاة: باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم ٢/١٣٧، ١٣٨، ومسلم في: الصحيح: كتاب الزكاة: باب ثبوت أجر المتصدق، وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها ٢/٧٠٩ رقم (١٠٢٢)، والنسائي في: السنن: كتاب الزكاة: باب إذا أعطاها غنيا وهو لا يشعر ٥/٥٥، ٥٦، وأحمد في: المسند ٢/٣٢٢، ٣٥٠ كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا، واللفظ لمسلم.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الزكاة: باب إذا تصدق على ابنه وهولا يشعر ٢/١٣٨، والدارمي في: السنن: كتاب الزكاة: باب فيمن يتصدق على غنى ١/٣٨٥، ٣٨٦، وأحمد في: المسند ٣/٤٧٠، كلهم من حديث أبي يزيد معن بن يزيد بن الأخنس ﷺ مرفوعا، واللفظ للبخاري.

(٣) اخديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الجهاد: باب من حبسه العذر عن الغزو ٤/٣١، وكتاب المغازي: باب منه ٦/٩، ١٠، من حديث أنس بن مالك ﷺ، ومسلم في: الصحيح: كتاب الإمارة: باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ٣/١٥١٨ رقم (١٩١١) من حديث جابر مرفوعا به، وأبو داود في: السنن: كتاب الجهاد: باب الرخصة في القعود من العذر ٣/١٢ رقم (٢٥٠٨) من حديث أنس، وابن ماجه في: السنن: كتاب الجهاد: باب من حبسه العذر عن الجهاد ٢/٩٢٣ رقم (٢٧٦٤) من حديث أنس و(٢٧٦٥) من حديث جابر.

(٤) هذه هي رواية البخاري المذكورة آنفا في: كتاب الجهاد.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الجهاد: باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة ٤/٧٠، وأحمد في: المسند ٤/٤١٠، ٤١٨، كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعا واللفظ للبخاري، كما أخرج أحمد شاهدا له في: المسند ٢/١٥٩، ١٩٤، ١٩٨، من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص مرفوعا بلفظ: «ما أحد من الناس يصاب ببلاء في جسده، إلا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه فقال: اكتبوا لعبدي كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير، ما كان في وثاقي» وبألفاظ أخرى تقاربه.

مات على فراشه»[١].

٢ ـ وأنها تكون سببا فى وحدة الصف، وجمع الكلمة :

إذ المخلص أو صاحب النية الحسنة يحرص على تطهير قلبه دائما من أى أحقاد أو ضغائن، وإذا طهرت القلوب، جمع الله بينها، وربط عليها : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [ الأنفال : ٦٣ ] ، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

[ آل عمران : ١٠٣ ]

بل إن هذا المخلص أو صاحب النية الحسنة ، يستوى عنده أن يكون فى المقدمة أو أن يكون فى المؤخرة، ما دامت الوجهة لله سبحانه وتعالى : «... طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى السّاقة كان فى السّاقة »[٢].

٣ ـ وأنها تكون سببا فى التضحية ، وإتقان العمل وإحسانه :

ذلك أن المخلص أو صاحب النية الحسنة، قد أيقن أن ربه وحده هو القادر على مكافأته، ومجازاته بالجزيل من الثواب، لذا فهو يضحى بكل ما عنده من طاقات وإمكانات، ويحرص كل الحرص على إحسان العمل وإتقانه مرضاة لربه، وطمعا فى ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم: فى الصحيح: كتاب الإمارة: باب استحباب طلب الشهادة فى سبيل الله تعالى ٣/ ١٥١٧ رقم (١٩٠٩)، والنسائى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب مسألة الشهادة ٦/ ٣٦، ٣٧، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الجهاد: باب القتال فى سبيل الله سبحانه وتعالى ٢/ ٩٣٥ رقم (٣٧٩٧)، والدارمى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فيمن سأل الله الشهادة ٢/ ٢٠٥، كلهم من حديث سهل بن حنيف ﷺ مرفوعا به، وأخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فيمن سأل الله تعالى الشهادة ٣/ ٢١ رقم (٢٥٤١) ، وأحمد فى: المسند ٥/ ٢٢٤ كلاهما من حديث معاذ بن جبل ﷺ بنحوه .

(٢) الحديث جزء حديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجهاد: باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله ٤/ ٤١ ، ٤٢، وكتاب الرقاق: باب ما يتقى من فتنة المال ٨/ ١١٤، ١١٥، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب فى المكثرين ٢/ ١٣٨٥، ١٣٨٦ رقم (٤١٣٥ ، ٤١٣٦) من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعا، ولفظه فى الرواية الأولى عند البخارى: « تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطى رضى، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه . . .» الحديث.

هؤلاء الأنبياء والرسل، ومن تابعوهم على الطريق، كانوا يضحون بالغالى والنفيس، ويجتهدون فى الخروج من المهمة التى ألقيت على كاهلهم كما كلفوا بها، يدفعهم إلى ذلك الإخلاص أو النية الصالحة، والطمع فيما وراء ذلك من رضا الربّ الرحيم والحياة الطيبة فى الدنيا، ومراتب الجنة العالية فى الآخرة.

٤ ـ وأنها تحمل على الأمانة والاستعلاء على المطامع والشهوات:

ذلك أن المخلص أو صاحب النية الطيبة، يرى أن وقوعه فريسة أو أسيرا لمطمع أو لشهوة نوع من الشرك الخفى، أو الأصغر، وهذا يتنافى مع مدلول الإخلاص أو حسن النية، لذا فإنه يجتهد ألا تستعبده دنيا، أو تستأسره شهوة :

«لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض، أقبل رجل بحق معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال والذين معه : ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدله عندنا، ولا يقاربه، فقالوا : هل أخذت منه شيئا ؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأنا، فقالوا: من أنت ؟ فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدونى، ولا غيركم ليقرظونى، ولكنى أحمد الله، وأرضى بثوابه، فأتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قيس»[1].

٥ ـ وأنها تدفع إلى قبول النصيحة أو النقد بنفس راضية ، وصدر منشرح ، بل إنها لتدفع إلى مجاهدة النفس لتقلع عن الخطأ، وتتخلص من العيوب :

ذلك أن المخلص أو صاحب النية الحسنة يحرص على ما فيه مرضاة الله، بل ويسعى نحو تحصيله، بل ويرى أن من يبصره بعيبه كأنما يدله على طريق من طرق مرضاة الله، فيحمد له صنيعه، ويأخذ فى تلافى هذا العيب:

«جاء عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، إلى أبى بكر ﷺ فقالا: يا خليفة رسول الله، إن عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلأ، ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها أو نزرعها، ولعل الله ينفع بها بعد اليوم، فقال أبو بكر لمن حوله: ما ترونه فيما قالا ؟ قالوا: إن كانت أرضا سبخة لا ينتفع بها، فنرى أن تقطعهما لعل الله ينفع بها بعد اليوم، فأقطعهما إياها، وكتب لهما بذلك كتابا، وأشهد عمر، وليس فى القوم، فانطلقا إلى عمر يشهدانه، فوجداه قائما يهنؤ بعيرا له، فقالا : إن أبا بكر يشهدك على ما فى هذا الكتاب، فنقرأه عليك أو تقرأ؟ قال: أنا على الحال التى ترياني، فإن شئتما

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبرى ٤/١٦، وعنه نقل الأستاذ أبو الحسن الندوى فى: ماذا خسر العالم ص ١٠٣.

فاقرءا، وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ، فأقرأ عليكما، فقالا: لا ، بل نقرأ، فقرآه، فلما سمع ما فى الكتاب تناوله من أيديهما، ثم تفل فيه فمحاه، فتذمرا، وقالا مقالة سيئة ، فقال : إن رسول اللّه كان يتألفكما، والإسلام يومئذ ذليل، وإن اللّه عز وجل قد أعز الإسلام، اذهبا فاجهدا جهدكما ، لا رعى اللّه عليكما إن رعيتما ، قال : وأقبلا إلى أبى بكر يتذمران، فقالا : واللّه ما ندرى من الخليفة، أنت أم عمر؟ قال: بل هو لو كان شاء، قال : فجاء عمر وهو مغضب حتى وقف على أبى بكر فقال: أخبرنى عن هذه الأرض التى اقتطعتها هذين، أرض هى لك خاصة أم بين المسلمين عامة؟ قال: بل هى بين المسلمين عامة، قال: فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين؟ قال: استشرت هؤلاء الذين حولى، فأشاروا على بذلك، قال: فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك أفكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورضى؟ قال أبو بكر: قد كنت قلت لك: إنك أقوى على هذا منى ، لكنك غلبتنى»[(١)].

## ٦ ـ وأنها تكون سببا فى الستر وعدم الفضيحة :

ذلك أن الإنسان إذا كان مخلصا أو حسن النية، ووقعت منه أخطاء كما هو شأن البشر، وكانت هذه الأخطاء غير مقصودة، فإن اللّه عز وجل تفضلا منه وتكرمًا، يتولى الستر، وعدم الفضيحة، ولعل ذلك هو المفهوم من حديث: «من سمّع سمّع اللّه به، ومن يرائى يرائى اللّه به»[(٢)].

## ٧ـ وأنها تكون سببا فى حصول الأجر والمثوبة حتى على العادات :

إذ يقول النبى ﷺ : «. . . وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: « أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر»[(٣)]. «. . . ولست تنفق نفقة تبتغى بها وجه اللّه إلا

---

(١) انظر: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٤٣ ، ٤٤، وعنه نقل الطنطاويان فى: أخبار عمر ص ٣٣٩، ٣٤٠.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الرقاق: باب الرياء والسمعة ٨/ ١٣٠ من حديث جندب، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الزهد: باب من أشرك فى عمله غير اللّه ٤/ ٢٢٨٩ رقم (٢٩٨٦) من حديث ابن عباس، واللفظ للبخارى.

(٣) الحديث جزء حديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢/ ٦٩٧ ، ٦٩٨ رقم (١٠٠٦)، وأبو داود فى: السنن: كتاب الصلاة: باب صلاة الضحى ٢/ ٢٦، ٢٧ رقم (١٢٨٥)، وكتاب الأدب: باب فى إماطة الأذى عن الطريق ٤/ ٣٦٢ رقم (٥٢٤٣) ، وأحمد فى : المسند ٥/ ١٦٧، ١٦٨، كلهم من حديث أبى ذر ﷺ مرفوعا به، وبنحوه، واللفظ لمسلم.

أجرت بها، حتى اللقمة تجعلها فى فِيِّ امرأتك. . .»[(١)].

**٨ ـ وأنها تكون سببا فى النجاة غدا بين يدى الجبار المتكبر بل والظفر برضوانه وجنته، حتى وإن قل العمل:**

**﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) ﴾** [ طه ].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ: «إن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لى فى هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أنى أحببته فى الله عز وجل قال: فإنى رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[(٢)].

**ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا:**

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا فوائد، نذكر منها:

١ـ الاجتهاد فى استحضار وتحسين النوايا، وجعلها خالصة لله عز وجل وحده دون أن يكون للغير فيها حظ أو نصيب، ويعين على ذلك:

* أن نتذكر أنها إن كانت لله، فهو النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة وإن كانت لغيره، أو له ولغيره، فهو الكساد والبوار والخسران المبين.

* الوقوف على الفوائد أو الثمرات المترتبة على النوايا الحسنة، وكذلك العواقب والمضار المترتبة على النوايا السيئة، فإن ذلك من شأنه أن يحمل العاقل سليم الفطرة على تصحيح النية وجعلها لله.

---

(١) الحديث جزء حديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الوصايا: باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس ٣/٤، وكتاب مناقب الأنصار: باب قول النبى ﷺ: «اللهم امض لأصحابى هجرتهم» ٨٧/٥، ٨٨، وكتاب المغازى: باب حجة الوداع ٢٢٥/٥، وكتاب النفقات: باب فضل النفقة على الأهل ٨٠/٧، ٨١، وكتاب الفرائض: باب ميراث البنات ١٨٧/٨، ١٨٨، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الوصية بالثلث ١٢٥٠/٣ ـ ١٢٥٣ رقم (٥ ـ ٧)، وأبو داود فى: السنن: كتاب الوصايا: باب ما جاء فيما لا يجوز للموصى فى ماله ١١٢/٣، ١١٣ رقم (٢٨٦٤)، والترمذى فى: السنن: كتاب الوصايا: باب ما جاء فى الوصية بالثلث ٤/ ٤٣٠، ٤٣١ رقم(٢١١٦)، وقال عقيبه: «وفى الباب عن ابن عباس، وهذا حديث حسن صحيح»، وأحمد فى: المسند ١/ ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦ كلهم من حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه مرفوعا به، وبنحوه، واللفظ لمسلم.

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب فى فضل الحبّ فى الله ١٩٨٨/٤ رقم (٢٥٦٧)، وأحمد فى: المسند ٢/ ٤٠٨، ٤٦٢، ٤٨٢، ٥٠٨، كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ لمسلم.

* المواظبة على طاعة اللّه من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وجهاد، وقراءة قرآن، وذكر، ودعاء، واستغفار، وتفكر وتدبر، وفعل للخيرات، ومحاسبة للنفس... إلخ ، فإن ذلك من شأنه أن يذكر المسلم بربه عند كل عمل، فيبادر بتحسين النية وجعلها للّه وحده.

* النظر فى سير وأخبار السّلف، ومدى ما كانوا عليه من اهتمام بإصلاح وتحسين النوايا ، فإن ذلك من شأنه أن يحمل على الاقتداء والتأسى ، أو على الأقل المحاكاة ، والتشبه ، على حدّ قول القائل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالصالحين فلاح

* الارتماء فى أحضان من نلمس فيهم الصلاح وحسن النية ، كأن يكونوا مخبتين متواضعين، لا يحبون الشهرة ، ولا يميلـون إليها ، لا يغيرهم الثناء أو الذم ، ويقبلون النصيحة بغض النظر عن حال مسديها ، ويبادرون إلى العمل بها، فإن ذلك الارتماء يربى فينا الإخلاص، وحسن النية.

* التذكير الدائب المستمر، إذ الإنسان بطبيعته ينسى، ولا علاج لهذا النسيان إلا بدوام التذكير، وصدق اللّه : ﴿ **فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ** ﴿٩﴾ ﴾ [ الاعلى ]، ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٥٥﴾ ﴾ [ الذاريات ].

* المتابعة، والرعاية من المربين، وذوى الخبرة والتجربة، فإن ذلك له أعظم الأثر فى إصلاح وتحسين النوايا.

٢ـ الحرص على أن تكون فى هجـرة دائمة إلى اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ بأوسع وأعمق ما تتضمنه كلمة «هجرة» من هجر المعاصى وأهلها، ومواطنها ومن هجر النوم أو الراحة، والتثاقل أو الإخلاد إلى الأرض، وبالجملة هجر كل ما يحجب عن اللّه، فإن ذلك هو رأس الالتزام بالإسلام، إذ من هجر الإثم والمعصية ، سهل عليه القيام بالطاعة ، والترقى فى مدارج السّالكين.

٣ـ الحذر الشديد من التعلق بالحياة الدنيا ، لاسيما المرأة ، بل والحذر من أخذها من غير طريقها المشـــروع ، فإن ذلك هو الهـلاك والضياع : ﴿ **فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [ لقمان ] ، «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

٤ـ الاجتهاد فى إبلاغ دعوة اللّه إلى الناس، بأيسر السبل ومن أقصر الطرق، وبأجمع الأساليب أو العبارات، إذ خير الكلام ما قل ودل، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ولا أبلغ فى الدلالة على ذلك من أنه ﷺ وصل إلى مراده هنا بعبارات موجزة تكاد تعدّ على الأصابع، إلا أنها تحوى فى طياتها الكثير والكثير.

٥ـ الاستمرار أو الثبات على الطريق، مع المسارعة والتنافس فى فعل الخيرات، ذلك أن المسلم حين يعلم أن نتيجة العمل مرتبطة بالنية، وأن الذى يعرف حقيقة هذه النوايا، ويجازى عليها إنما هو اللّه الغنى عن العالمين، الذى لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها، ويؤت من لدنه أجرا عظيما، حين يعلم ذلك تطمئن نفسه إلى نتيجة أعماله ، ما دامت قد وقعت على النحو الذى يحب اللّه ويرضى، فيزداد استمساكًا وحبا لمنهج اللّه ، ويسعى إلى زيادة رصيده من الصالحات بنفس راضية ، وصدر منشرح .

# الحديث الثامن والعشرون

قال رسول اللهﷺ :

« الجماعة رحمـــة ، والفرقـة عـذاب » .

**تخريجه :**

الحديث جزء حديث أخرجه أحمد فى : المسند ٤/ ٢٧٨، ٣٧٥، وعبد الله بن أحمد فى : « الزوائد » على المسند ٤/ ٣٧٥ كلاهما منْ حديث أبى وكيع الجراح بن مليح ، عن أبى عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن ، عن الشعبى ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعا وتمامه : « من لم يشكر القليل ، لم يشكر الكثير ، ومنْ لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » .

والعلامة أبو عبد الله القضاعى فى: مسند الشهاب ١ / ٤٣ رقم (١٥) مختصرا.

وأورده الألبانى فى: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٢٧٦ ،٢٧٧ رقم(٦٦٧) وعزاه إلى هؤلاء الثلاثة بهذا الإسناد، وعقب عليه بقوله: «وهذا إسناد حسن ، رجاله ثقات وفى أبى عبد الرحمن ـ واسمه القاسم بن عبد الرحمن ـ كلام لاينزل حديثه من رتبة الحسن، وكذا الجراح بن مليح ».

**معناه :**

أخرج الله الناس جميعا ـ آدم وذريته ـ إلى هذا الوجود ليكونوا عبيدا له سبحانه وتعالى، أو خلفاء فى هذه الأرض يعمرونها، وينتفعون بكل ما فيها عمارة، وانتفاعا، محكومين بالتقوى له تبارك وتعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)** ﴾ [الذاريات ]، ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [ البقرة : ٣٠ ] ، ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١)** ﴾ [هود] ، ﴿ **يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)** ﴾ [ الزمر ].

وأخرج ـ سبحانه ـ الأمة المسلمة لتكون شاهدة على الناس أجمعين، تقيم هذا الإسلام فى نفسها، ثم تدعو الناس وتجاهدهم على أن يقيموه كذلك فى أنفسهم، أو على الأقل يفسحوا الطريق أمام غيرهم فلا تكون هناك فتنة ، ويكون الدين كله لله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣]، ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [ الحج : ٧٨ ]، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [ آل عمران: ١١٠ ].

ولا شكَّ أن هذه المهمَّة ـ سواء أكانت مهمَّة الناس عموما، أم مهمَّة المسلمين على وجه الخصوص ـ شاقة، صعبة لايستطيعها واحد بمفرده، بل لابدَّ من جهود متضافرة متعاونة، تنظمها قيادة حكيمة، ويحكمها منهج سديد سليم، وذلك هو المعروف فى الفقه الإسلامى بالجماعة، حتى قال عمر ﷺ : « لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ، ولا إمارة إلا ببيعة ولا بيعة إلا بطاعة» (١).

والحديث الذى بين أيدينا الآن إنما هو دعوة إلى لزوم الجماعة وعدم تركها أو الانفكاك، والانسلاخ عنها قيد شبر، أو أنملة.

وسبيل هذه الدعوة : إنما هو بيان فضل لزوم الجماعة وعواقب تركها، وأمَّا فضل لزوم الجماعة فهو العيش في الرحمة الدائمة التى لا تنقطع، وأما عواقب تركها فتتمثل في العذاب المقيم في الدنيا والآخرة : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » .

وحتى تبرز معالم الحديث بصورة أجلى، فإننا سنعرض له من الجوانب التالية:

الجانب الأول : المبررات التى منْ أجلها كانت الجماعة رحمةً والفرقة عذابًا .

الجانب الثانى : بعض النصوص الأخرى الواردة فى الحث على لزوم الجماعة.

الجانب الثالث : أقوال وصور من حياة السلف تؤكد حرصهم على لزوم الجماعة ونبذ الفرقة.

الجانب الرابع : السبيل إلى لزوم الجماعة ونبذ الفرقة أو الوحدة .

---

(١) الأثر أورده الدارمىُّ فى : السُّنن : المقدمة : باب فى ذهاب العلم ١/ ٧٩ موقوفا على عمر ﷺ بنحوه.

ودونك البيان :

أولا : المبررات التى من أجلها كانت الجماعة رحمةً، والفرقة عذابًا :

والمبررات التى من أجلها كانت الجماعة رحمةً، والفرقة عذابًا كثيرة نذكر منها :

١ـ أن الجماعة تعين المسلم على اكتشاف أبعاد شخصيته ومعالمها ، وما تنطوى عليه هذه الأبعاد وتلك المعالم ، من كمال أو نقص ، قوّة أو ضعف :

بحيث يسهل على المسلم ـ إذا كان جادًا في التزامه بمنهج الله عزَّ وجلَّ ـ أن يتخلص من كلَّ السلبيات وأن يحافظ بل ينمى الإيجابيات التى دلَّته الجماعة عليها فيكون بذلك قد أرضى ربَّه، ورضوان الله عزوجل هو الرحمة بعينها، بينما الفرقة تبقى المسلم فى عمى عن عيوبه فيظلُّ مقيما على هذه العيوب ، فيعرِّض نفسه لغضب الله تبارك وتعالى ، وغضب الله هو العذاب بعينه ، والحديث التالى فيه مزيد بيان وإيضاح لهذا المبرر:

عن المعرور بن سويد قال : لقيتُ أبا ذرٍّ بالربذة وعليه حُلَّةٌ، وعلى غلامه حُلَّةٌ فسألتهُ عن ذلك، فقال: إنّى سابيتُ رجلا فعيَّرتُه بأمّه، فقال لى النبى ﷺ : « يا أبا ذرّ، أعيرته بأمّه، إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمنْ كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل، وليلْسبه ممّا يلبس، ولاتكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» [(١)] .

إنَّ منْ يمعن النظر في هذا الحديث يدرك تماما فضل الجماعة وخطر الفرقة، إذ دلَّ رسول الله ﷺ وهو رأس الجماعة ، وإمامها ـ أبا ذر ﷺ على عيبه، فسهل عليه تداركه والتخلص منه، فأصابته رحمة الله، ولو أنه كان يعيش وحده، نابذا الجماعة وراءه ظهريا، لبقى طول حياته مقيما على هذا العيب، فيحيا فى العذاب ويموت فى العذاب، ولقد لفت النبى ﷺ النظر إلى هذا المبرر حين قال: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكفُّ عليه ضيعته ويحوطه منْ ورائه» [(٢)] .

---

(١) الحديث أخرجه البخارىُّ فى: الصحيح: كتاب الإيمان: باب المعاصى منْ أمر الجاهلية ١/ ٢٠ رقم (٣٠)، وكتاب العتق: باب قول النبى ﷺ : « العبيد إخوانكم» ٢/ ٨٩٩ رقم(٢٤٠٧)، وكتاب الأدب: باب ما ينهى من السباب واللعن ٤/ ٢٢٤٨ رقم (٥٧٠٣)، ومسلم فى:الصحيح : كتاب الأيمان: باب إطعام المملوك مما يأكل ٣/ ١٢٨٢ رقم (١٦٦١)، كلاهما من حديث أبى ذر ﷺ مرفوعا واللفظ للبخارى.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١١ .

**٢ـ والجماعة تأخذ بيد المسلم فتعينه على إصلاح وتهذيب وتقويم ما عساه يكون في شخصيته منْ قصور، أو ضعف، أو عوج :**

ذلك أن المسلم قد يكتشف بعض جوانب الخلل أو القصور في شخصيته، سواء أكان هذا الاكتشاف بواسطة الجماعة، أم باجتهاده هو ولكنه يكون مِنْ ضعف الإرادة ونزول الهمَّة، وخور العزيمة بحيث لا يستطيع أن يصلح هذا الخلل أو هذا القصور بنفسه مِنْ نفسه، وهنا تتدخل الجماعة لانتشاله، والأخذ بيده مما يعانى مِنْ قصور أو خلل فتارةً تمارس أمامه الصورة الصحيحة، والنموذج الأمثل ليقتدى ويتأسى، وتارةً تستخدم النصيحة بشروطها وآدابها، وتارةً تلجأ إلى العتاب واللوم، وتارةً تستخدم التوبيخ، والتقريع، وتارة تستخدم الهجر والقطيعة لأمد معيَّن، وهكذا تمارس الجماعة مختلف الأساليب والوسائل وتسلك سائر الطرق، وشتَّى السبل لتعود بشخصية هذا المسلم إلى ما ينبغى، فكأنها بذلك تنقله إلى ما يرضى الله تبارك وتعالى وأىُّ رحمة أعظم من أن يرضى المسلم ربَّه سبحانه وتعالى؟ بينما الوحدة أو الفرقة تحرمه مِنْ هذا الخير، فيعرض نفسه للغضب الإلهى، وأى عذاب أشد مِنْ هذا العذاب؟

والأحاديث التالية تبرز هذا المبرر بجلاء ووضوح:

عن أبى جحيفة رضي الله عنه قال: آخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء متبذلة، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما فقال له : كُلْ فإنى صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلمَّا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان : قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إنَّ لربِّك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذى حقٍّ حقَّه، ثم أتى النبىَّ ﷺ : فذكر ذلك له، فقال النبى ﷺ : « صدق سلمان »[1].

وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّه كان يصوم النهار، ويقوم الليل ولا يقضى حقَّ أهله، فقال النبىُّ ﷺ : « ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ » قلت: بلى يا رسول الله، قال: « فلا تفعل، صم وأفطر، ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقا،

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٢.

وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم في كل شهر ثلاثة أيام ، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإذًا ذلك صيام الدهر » (١).

وعن ابن عباس ﷺ قال: بينما النبى ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ، ولا يقعد، ولايستظل، ولا يتكلم ، ويصوم، فقال ﷺ: «مروه فليتكلّم، وليستظل، وليقعد، وليتمّ صومه» (٢).

فهؤلاء ما كان لهم أن يتخلصوا من هذه الآفات التى عرضتْ لهم لولا توفيق الله لهم بعيشهم فى وسط الجماعة، فكانت الجماعة رحمةً لهم، ولو أنهم نبذوها وراءهم، وانفكوا عنها لظلُّوا طول حياتهم غارقين فى هذه الآفات، ولأصبحت الفرقة عذابا ونكالا عليهم.

ولعل هذا المبرر هو ما أشار إليه النبى ﷺ فى حديث : « المؤمن مرآة المؤمن» المذكور آنفا، إذ جاء فى آخره قوله ﷺ: « إن رأى فيه عيبا قوَّمه »(٣) ، وفى حديث: « إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدقٍ، إن نسى ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسى لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه» (٤) .

**٣ـ والجماعة تعمل على توظيف سائر طاقات المسلم، وإعمال كلِّ غرائزه، الأمر الذى يؤدى إلى التوازن، والتكامل فى شخصية هذا المسلم، ويقضى على أى فراغ يمكن أن يستغله شياطين الإنس والجنّ فى إغوائه وإضلاله :**

ذلك أن الإنسان ـ كما هو معلوم ـ مؤلف من جسد، وعقل، وروح ، وبعبارة

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الصوم: باب حق الجسد فى الصوم ،وباب حق الأهل فى الصَّوم ٣/ ٥١، ٥٢ ، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الصيام: باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوَّت به حقا ٢/ ٨١٣ ، ٨١٨ رقم (١٨٢، ١٨٣، ١٩٣)، والنسائى فى: السنن: كتاب الصوم : باب صوم يوم وإفطار يوم ٤/ ٢١٠، ٢١١ ، وباب صوم عشرة أيام من الشهر ٤/ ٢١٥ ، كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ مرفوعا واللفظ للبخارى .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الأيمان والنذور: باب النذر فيما لا يملك وفيه معصية ٨/ ١٧٨، وأبو داود فى: السنن: كتاب الأيمان والنذور : باب ما جاء فى النذر فى المعصية ٣/ ٢٣٥رقم (٣٣٠٠) ، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الكفارات: باب مَنْ خلط فى نذره طاعةً بمعصية ١/ ٩٩٠ رقم (٢١٣٦)، ومالك فى: الموطأ: كتاب النذور والأيمان: باب ما لا يجوز من النذور فى معصية الله ص ٣١٧ رقم (١٠٢٢)، وأحمد فى: المسند ٤/ ١٦٨، كلهم من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعا، إلا مالكا فإنه عنده من حديث حميد بن قيس، وثور بن زيد الديلى، وإلا أحمد فإنه عنده من حديث أبى إسرائيل.

(٣) الحديث سبق تخريجه ص ١١ .

(٤) الحديث سبق تخريجه ص ١٢ .

أخرى من مادة وروح، والروح مزوَّد بطائفة من الغرائز تشبه الخطوط الدقيقة، المتقابلة، والمتوازية، وكل غريزتين منها متجاورتان فى النفس، وهما فى الوقت ذاته مختلفتان فى الاتجاه: الخوف والرجاء، والحب والكره، والاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال، الطاقة الحسية والطاقة المعنوية، والإيمان بما تدركه الحواس والإيمان بما لا تدركه الحواس، حب الالتزام والميل إلى التطوع، الفردية والجماعية، والسلبية والإيجابية... إلخ.

كلها غرائز متوازية، ومتقابلة ـ كما ترى ـ وهى بتوازيها وتقابلها تؤدى مهمتها فى ربط الكائن البشرى بالحياة، كأنما هى أوتاد متفرقة، متقابلة، تشدُّ الكيان كلَّه، وتربطه مِنْ كلّ جانب يصلح للارتباط، وهى في الوقت ذاته توسع أفقه وتفسح مجال حياته، فلا ينحصر فى نطاق واحد ولا فى مستوى واحد.

والجماعة هى المجال الوحيد الذى يوظف سائر طاقات المسلم، ويعمل كلَّ غرائزه بدرجات متساوية، ومتكاملة فى نفس الوقت، وهذه هى الرحمة بعينها، بينما الوحدة، أو الفرقة تبقى فى الإنسان طاقات معطلة يمكن أن يستغلها شياطين الإنس والجن فى الغواية والضلال، وهذا هو العذاب بعينه [١].

وقد أشـار النبى ﷺ إلى هذا المبرر بقوله: «عليكم بالجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، مَنْ أراد بحبوحة الجنَّة، فليلزم الجماعة» [٢].

٤ـ والجماعة تزود المسلم بكثير من الخبرات، والتجارب التى تعينه على مواجهة ما يعترض طريقه من صعاب، وعقبات:

ذلك أن طريق تحقيق المسلم لرسالته طريق مليئة بالعقبات، محفوفة بالمخاطر ولا يستطيع المسلم تخطى هذه العقبات، وتجاوز هذه المخاطر إلا إذا كان ذا خبرة، ودراية بأبعاد، ومعالم الطريق.

وليس هناك مجال أرحب ولا أوسع لاكتساب هذه الخبرات، وتلك التجارب سوى الجماعة، فكان وجود المسلم بين الجماعة بالنسبة لهذا الجانب رحمة، وكان انقطاعها عنها عذابا.

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية للأستاذ محمد قطب ١/١٨ وما بعدها بتصرف.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١١.

وفى المثالين التاليين ما يشرح ذلك، ويجليه :

قال سعد بن معاذ للنبىﷺ يوم بدر: «ألا نبنى لك عريشا تكون فيه، وندع عندك ركائبنا، فإن أظهرنا الله وأعزنا، فذلك ما أحببنا، وإن كانتْ الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بإخواننا فى المدينة، فقد تركنا بها أقواما لسنا بأشدَّ حبّا لك منهم، يؤيدونك، ويؤازرونك؟» (١).

فدعا له النبىﷺ بالبركة، ثم أمر ببناء العريش فبنى، وكان فيه النبىﷺ ليلة المعركة، ويومها، يشرف منه على إدارة المعركة، فكان ذلك عاملا من عوامل النجاح، والفوز.

ولما جاء الأحزاب يوم الخندق، وحاصروا المدينة، قال سلمان للنبىﷺ : « إنا كنا بفارس ، إذا حوصرنا خندقنا علينا ، فأمر النبىﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه، وجاء المشركون فحاصروهم» (٢).

إذ فرد واحد أكسب الآخرين الذين يعيشون معه كيف يمكن حماية القيادة، والحفاظ عليها، ولاسيّما فى أوقات الشدائد والمحن، وآخر أكسبهم كيف يواجَه العدوُّ عندما يستخدم هذا العدو أسلوب الحصار والتطويق.

٥ـ والجماعة تبعث الأمل فى نفس المسلم ، وتدفع عنه اليأس والقنوط :

ذلك أن المسلم الذى يؤدى واجبه نحو دينه، وأمته منفردا، يعتريه بين الحين والحين خاطر: ماذا أصنع، وأنا فرد واحد، وأعداء الله فى داخل الأمة ، وخارجها كثير ، ولهم خططهم الخبيثة ، وأساليبهم الماكرة ، وهم الآن يمسكون بزمام العالم الإسلامى؟

ولا يزال هذا الخاطر يلح عليه، ويحيط به، ويحاصره مِنْ كلِّ جانب، وليس لديه ما يدفعه به، حتى يدب اليأس، والقنوط إلى نفسه فيقعد عن أداء دوره، ورسالته فى الأرض .

أمَّا إذا كان يؤدى دوره، وواجبه فى الأرض مِنْ خلال جماعة، وعرض له مثل هذا الخاطر، فإنّه يستطيع دفعه، بأنه ليس وحيدا فى الميدان، وإنما هنالك آخرون غيره،

---

(١) القصة أوردها الواقدى فى : المغازى .

(٢) الحديث أورده الحافظ ابن حجر فى: فتح البارى٧/ ٣٩٣، وعزاه إلى أبى معشر المدنى فى مغازيه .

يسيرون معه فى نفس الطريق، ولديهم من الأساليب، والوسائل، والإمكانات، ما يعينهم على مواجهة أعدائهم، وإحباط مكايدهم، ومخططاتهم .

وإذا كانت الجماعة تؤدى هذا الدور، فإن لزومها يعتبر رحمة، وفراقها يعتبر عذابا.

**٦ـ والجماعة تكون سببا فى تجديد نشاط المسلم بما يقوى عزيمته ويعلى همته ، ويضاعف منْ جهده ، وعطائه:**

ذلك أن المسلم يعتريه بين الحين، والحين حال من الفتور، والتراخى بسب طول الطريق، وضخامة الأعباء، ومشاق العمل، وكثرة العقبات، فإذا ما التقى بإخوانه من المسلمين، وتفرس نور الطاعة فى وجوههم، ورأى شدَّة خشوعهم، وكثرة إقبالهم على ربِّهم زال هذا الفتور ، وذهب ذلك التراخى ، وامتلأ حماسا ، وحيوية ، ونشاطا، فيضاعف منْ جهده ، وصدق النبى القائل : « ألا أخبركم بخيرالناس ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله، قال : « مَنْ تذكركم رؤيته بالله عزو جل »(١) .

**٧ ـ والجماعة تفتح أمام المسلم مجالات عدَّة لتحصيل الأجر ، والثواب :**

فهو يسلِّم على إخوانه المؤمنين، وينصح لهم، ويلبى دعوتهم، ويشمِّت عاطسهم، ويعود مريضهم، ويشيع ميتهم ، ويتفقد غائبهم، ويودِّع مسافرهم، ويستقبل قادمهم، ويقرض محتاجهم، ويفرِّج عن مكروبهم، ويهدى لهم، ويقبل هديتهم، ويشير عليهم، ويستشيرهم ، ويعلم جاهلهم ، ويتعلم من عالمهم. . . إلى غير ذلك من المجالات المقتضية للأجر والثواب،وأنى له إذا كان يعيش وحده أن يحصل ذلك الأجر والثواب ؟

وبسبب هذا الدور كان لزوم الجماعة رحمة، وكان فراقها عذابا .

**٨ ـ والجماعة تكون سببا فى استجلاب العون ، والمدد الإلهى :**

ذلك أن المسلمين مهما كانت كثرتهم، وضخامة استعدادهم، فإنهم بحاجة إلى عون وتأييد من ربهم ، خالق كل شىء ، ومالكه ، ومدبر أمره ، والمتصرف فيه ، ولاسيّما فى عصر كعصرنا هذا الذى ضرب فيه الباطل بأطنابه ، فى كلِّ مكان ، وأمسك بخناق المسلمين، ولم يعد أمام الناظر منقذ، أومتنفس إلا من رحم الله عز وجل.

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٦ .

وقد مضت سنة الله فى خلقه ألا ينزل نصره الكامل، وتأييده التام لأهله وأوليائه دون تضحيات وتكاليف وأبسط هذه التضحيات وتلك التكاليف أن يجاهد المسلم نفسه وهواه ، وأن يكون مع الجماعة ينفذ ما تأمر به، ويجتنب ما تنهى عنه، وصدق الرسول القائل : « يد الله مع الجماعة » (١) .

وبالنظر إلى هذا الدور ، فإن لزوم الجماعة يعتبر رحمةً، وفراقها يعتبر عذابا .

**٩ ـ والجماعة تعين المسلم على أداء دوره، وواجبه فى الأرض :**

فواحد يساعده فى توفير طعامه، وثان يساعده فى توفير شرابه ، وثالث يعلّم ويربّى ولده، ورابع يبنى له بيته ، وخامس يطببه ويداويه، وسادس يحيك له ثوبه . . . وهلم جرا، وهو كذلك يصنع مثل هذا لغيره، حتى قال القائل :

الناس للناس منْ بَدْوٍ وحاضرة  بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

والجماعة بالنظر إلى هذا الدور تعتبر رحمة، ويعتبر فراقها عذابا .

**١٠ ـ والجماعة تحفظ للمسلم هيبته ، وحرمته ، وكرامته :**

فلا يجرؤ الأعداء على إيذائه، أو التطاول عليه فى دمٍ أو مال أو عرض ؛ لأن له من جماعته من المؤمنين ظهيرا ونصيرًا، وحتى لو تجرأ هؤلاء، فآذوه فى دمٍ، أو مالٍ، أو عرضٍ، فإن إخوانه سينصفونه، وسيردون له مظلمته.

وفى التاريخ الإسلامى نظائر، وشواهد كثيرة على ذلك، بينما لو كان المسلم يعيش وحده، أو كان يعيش فى كيانات صغيرة يسهل ابتلاعها، فإن كرامته تذهب، وهيبته تضيع، وحرمته تنتهك، كما هو واقع اليوم .

وانطلاقا من كل ما قدمنا فإن لزوم الجماعة يعتبر رحمة، وفراقها يعتبر عذابا .

**ثانيا : بعض النصوص الأخرى الواردة فى الحثّ على لزوم الجماعة :**

قد وردتْ نصوص أخرى فى الحثّ على لزوم الجماعة غير ما تقدم نذكر منها :

قوله تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [ آل عمران : ١٠٣ ] ، ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [ المائدة: ٢ ]، ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ**

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٧ .

وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) ﴾ [ آل عمران ]، ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ﴾ [ الروم ]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩) ﴾ [ الأنعام ] .

وقوله ﷺ : «من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[١]، «إياكم والفرقة، وعليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة »[٢] ، «يد الله مع الجماعة »[٣] ، « وأنا آمركم بخمس، اللّه أمرنى بهنّ ، بالجماعة ، والسمع والطاعة ، والهجرة ، والجهاد فى سبيل الله، فإن من خرج من الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع » قالوا : يا رسول الله ، وإن صلى وصام ؟ قال : « وإن صام وصلىّ وزعم أنّه مسلم »[٤]، إلى غير ذلك من النصوص .

## ثالثا: أقوال وصور من حياة السلف تؤكد حرصهم على لزوم الجماعة ونبذ الفرقة :

وللنصوص التى قدمنا فقد أثرت عن السلف طائفة من الأقوال والسلوكيات تؤكد حرصهم على لزوم الجماعة، ونبذ الفرقة، ونذكر من هذه الأقوال، وتلك السلوكيات:

قول سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه : «كدر الجماعة خير من صفو الوحدة»[٥] .

وقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «خالط الجماعة، ودينك لا تكلمنّه»[٦] .

وقول سيدنا عبد الله بن المبارك رضي الله عنه وهو من أتباع التابعين :

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا

الله يدفع بالسلطان معضلةً ... عن ديننا رحمة منه ورضوانا

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبلٌ ... وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا[٧]

---

(١ ـ ٤) هذه الأحاديث سبق تخريجها فى شرح الحديث الحادى والعشرين « من فارق الجماعة شبرا. . . ».

(٥) انظر فى تخريج هذا الحديث كتابنا : « شخصية المسلم بين الفردية والجماعية ».

(٦) الأثر سبق تخريجه ص ٢٨.

(٧) الأثر سبق تخريجه ص ٨٩.

وما أثر عن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ : إذ جاء أن رسول الله ﷺ وأبا بكر، وعمر، وعثمان ـ صدرًا من خلافته ـ ﷺ ، كانوا يصلون بمكة، ومنى ركعتين، ثم إن عثمان صلاها أربعا، فبلغ ذلك ابن مسعود، فاسترجع، ثم قام فصلّى أربعا، فقيل له: استرجعت، فصليت أربعا ؟ فقال : « الخلاف شر » (١) .

وما أثر عن سيدنا أبى ذرّ ﷺ : إذ يقول رجل: كنا قد حملنا لأبى ذر ﷺ شيئا نريد أن نعطيه إياه، فأتينا الربذة، فسألنا عنه، فلم نجده، قيل: استأذن فى الحجِّ، فأذن له، فأتيناه بالبلدة وهى منى، فبينا نحن عنده، إذ قيل له: إن عثمان ﷺ صلى أربعا، فاشتد ذلك عليه، وقال قولا شديدا، وقال: صليت مع رسول الله ﷺ فصلّى ركعتين، وصليت مع أبى بكر ، وعمر ﷺ ، ثم قام أبو ذر ﷺ فصلَّى أربعا، فقيل له: عبت على أمير المؤمنين شيئا، ثم تصنعه؟ فقال: الخلاف أشد، إن رسول الله ﷺ خطبنا، وقال: «إنه كائن من بعدى سلطان فلا تذلُّوه، فمَنْ أراد أن يذلَّه فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وليس بمقبول منه توبة، حتى يسدَّ ثلمته وليس بفاعل، ثم يعود فيكون فيمن يعزره»، وأمرنا رسول الله ﷺ : « لا تغلبونا على ثلاث: نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونعلم الناس السنن» (٢) .

وهذه وغيرها أقوال وسلوكيات تكشف عن تقدير السلف للجماعة، وحرصهم على لزومها وعدم الانفكاك عنها، بل دعوة الناس إلى ذلك.

رابعا : السبيل إلى لزوم الجماعة ، ونبذ الفرقة أو الوحدة :

وإذ قد عرفنا فضل الجماعة، وشؤم التفرد أو الوحدة والنصوص الدالة على ذلك، سواء من الكتاب أو من السنة أو من أقوال وسلوكيات السلف فإن السبيل إلى لزوم الجماعة، ونبذ الفرقة أو الوحدة كثير، نذكر منها :

١ـ أنها أمر من الله ورسوله على النحو الذى شرحنا ، والمسلم الصادق فى التزامه بإسلامه لا يسعه إلا أن يقول : سمعنا، وأطعنا، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿٥١﴾ ﴾ [ النور ] .

---

(١ ، ٢) الأثران سبق تخريجهما ص ٧٠ .

٢ـ وأن يتذكر المسلم الفوائد التى تعود عليه من وراء لزوم الجماعة، والعواقب الوخيمة المترتبة على فراق هذه الجماعة، ولئن كان سليم الفطرة راشد العقل، فإنه سينبذ الفرقة ويحرص على لزوم الجماعة.

٣ـ وأن يضع فى حسابه أنَّ أعداء اللَّه من الكفار والمنافقين الذين يصدُّون عن سبيل الله، ويبغونها عوجا، يقفون موقف التكتل، والتحزب من الإسلام، والدعوة إلى هذا الإسلام، فهم يحشدون، ويجمعون، ويتعاونون فيما بينهم فى شكل أحلاف عسكرية : ( حلف وارسو سابقا ـ حلف الأطلنطى ) ، وفى شكل أسواق تجارية : ( السوق الأوربية المشتركة ) ، وفى شكل برلمانات ، وهيئات سياسية : ( البرلمان الأوربى)، وفى شكل اتحادات جمهورية، وولاياتية : (جمهوريات الاتحاد السوفيتى سابقا ـ الولايات المتحدة الأمريكية ).

وكل هذا منْ أجل السيطرة على ديار المسلمين، لابتزاز ثرواتهم، وخيراتهم، وإذلالهم ، واضطرارهم إلى أحد أمرين : إما الكفر، وإما القتل، والرد العملى على هذه التصرفات أن يلزم المسلم إخوانه، فتكون لهم جماعة قادرة على مواجهة أهل الكفر والإلحاد، وكبح جماحهم، بل وعاملة على زحزحة وإزاحة هؤلاء من طريق البشر ليعيشوا أحرارا .

إلى هذا أشار الحق تبارك وتعالى بقوله : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [ التوبة :٧١] ، ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣)** ﴾ [ الأنفال ] ، ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً** ﴾ [ التوبة :٣٦ ].

٤ـ وأن يعيش مع السلف فى فكرهم، وسلوكهم بالنسبة للجماعة، وسيرى أن هؤلاء كانوا أحرص على لزوم الجماعة، وإن خالف ذلك هوى نفوسهم حتى يفوزوا بالأجر والمثوبة فى الدنيا ، والآخرة . وبمثل هذه الرؤية يتولد فى نفسه معنى الاقتداء، والتأسى ، أو على الأقل المحاكاة والتشبه.

٥ـ وأن يتذكر أن لزوم الجماعة سنة كونية. إذ من المشاهد فى هذا الوجود أو فى هذا الكون أن كل مجموعة من المخلوقات المتجانسة بينها تعاون ، وتآزر لتحقيق ما خلقت له ، فالمجموعة الشمسية مثلا تتعاون لتوفير الضياء والدفء لسائر الكائنات

الحية، وجماعة النحل تتعاون فيما بينها لتحقيق المهمَّة التى خلقتْ من أجلها وهكذا سائر المخلوقات .

والإنسان ، ولاسيّما المسلم ليس بدعا مِنْ هذه المخلوقات، وإنما هو واحد منها، وتقوم حياته ـ بضرورياتها وكمالياتها ـ على معنى التعاون والتآزر.

**ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :**

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا فوائد عدّة ، نذكر منها :

١ـ وجوب لزوم الجماعة، ونبذ الفرقة، لما فى لزوم الجماعة من الرحمة والبركة ، ولما فى نبذها من العذاب ، والهلاك .

٢ـ ما أوتيه النبىُّ ﷺ من جوامع الكلم، حيث كان يصوغ المعانى الكثيرة فى عبارات بليغة موجزة.

٣ـ تبرير التكاليف، وبيان ما تنطوى عليه من حكم، وآداب، وأسرار، إذ أن هذا من شأنه أن يهون على المكلّف سبيل التنفيذ والتطبيق ، وقد بدا هذا واضحا من ربطه ﷺ بين الجماعة والرحمة ، وبين الفرقة والعذاب.

٤ـ أن خلاص المسلمين اليوم مما يعانون من ضعف، ومن تبعيّة إنما يكون بنبذ الفرقة، والحرص على الجماعة، والوحدة : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾

[ آل عمران : ١٠٣ ]

# الحديث التاسع والعشرون

قال رسول الله ﷺ :

« إن الله يقول لأهون أهل النار عذابا: لو أن لك ما فى الأرض منْ شىء كنت تفتدى به؟ قال: نعم . قال: لقد سألتك ما هو أهونُ من هَذا ، وأنت فى صُلب آدم، ألا تشرك بى، فأبيت إلا الشرك » .

تخريجه :

الحديث أخرجه البخاريُّ فى: الصحيح: كتاب الأنبياء: باب قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ٤ / ١٦٢ ، وكتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار ٨ / ١٤٣ .

ومسلم فى : الصحيح: كتاب صفات المنافقين ، وأحكامهم ٤/ ٢١٦٠ ، ٢١٦١ رقم ٢٨٠٥ (٥١ ـ ٥٣) .

وأحمد فى: المسند ٣/ ١٢٩ كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ للبخارى.

معناه :

الإيمان بالله، ربنا، ذى الجلال والإكرام، وما ينبثق عنه من الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر، هذا الإيمان هو مبعث حركة الإنسان الصحيحة، المستمرة على ظهر هذه الأرض،ولأهمية هذا الإيمان على هذا النحو بدأ به الأنبياء والمرسلون دعوتهم ، وهدايتهم للناس ؛ إذ ما من نبى ، ولا رسول بعثه الله فى أمَّة من الأمم، إلا وكان يفتح دعوته بقوله : اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، يقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾ [الأنبياء]، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [ النحل: ٣٦].

وجعل الله مثوبته الأمن، والأمان، والفوز فى الدنيا والآخرة بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

آمنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾ [ الأنعام ]، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا (١١٢) ﴾ [ طه ] .

كما جعل عقوبة الكفر، أو الشرك الخلود فى نار جهنم، وبئس المصير وفى جوّ العذاب يحمل أهون أهل النار عذابا يوم القيامة أن يفدى نفسه بكل ما فى الأرض لو كان يملكه، وكان ذلك متاحا: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨) ﴾ [ الرعد ] ، ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) ﴾ [ الزمر ] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٧) ﴾ [ المائدة ] .

وإذا كان ذلك هو جزاء المؤمنين الموحدين، وكان هذا هو جزاء الكافرين، والمشركين، فأولى بالناس أن يؤمنوا بالله، وأن يتطهروا من كل مظهر من مظاهر الشرك والوثنية ، وذلك أهون عليهم فى فداء أنفسهم ، وفك رقابهم من أن يبذلوا الدنيا وما فيها .

والحديث الذى نحن بصدد شرحه، وبيانه الآن تصوير دقيق لهذا المعنى :

إذ يصور النبى ﷺ فيه حال نفر من الناس كفروا بالله وأشركوا به ، فاستوجبوا النار، والله يوبخهم، ويبكتهم قائلا لهم: لو طلبنا منكم أن تفتدوا أنفسكم بملك ما فى الأرض، أكنتم فاعلين ؟ فيجيبون، وكلهم ذلٌّ وهوان: نعم، نفتدى أنفسنا بذلك، لو كان فى أيدينا، وكان الفداء مقبولا، وهنا يقول لهم رب العزة : لن يقبل منكم ذلك، فقد سألناكم، وأنتم فى عالم الذر ما هو أهون من ذلك، لقد سألناكم : التوحيد ونبذ الشرك ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) ﴾

سألناكم هذا، وهو بسيط هيِّن فأبيتم إلا الشرك، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تكفرون بالله وتشركون به، جزاء وفاقا.

ولكى تتضح معالم الحديث بصورة أدق، فإننا سنتناوله من الجوانب التالية:

الجانب الأول : بعض النصوص الأخرى الواردة فى ذمِّ الشرك .

الجانب الثانى : ماهية الشرك ومظاهره .

الجانب الثالث : آثار الشرك وعواقبه .

الجانب الرابع : طريق الخلاص من الشرك .

ودونك البيان :

## أولا: بعض النصوص الأخرى الواردة فى ذمِّ الشرك :

لقد وردتْ نصوص أخرى فى ذمِّ الشرك نذكر منها:

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) ﴾ [ الانعام ] ، ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾ [ الحج ] ، ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) ﴾ [الزمر]، ﴿ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ﴾ [ الروم ] ، ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ [ لقمان ]، ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) ﴾ [ الانعام ]، إلى غير ذلك من الآيات.

ونذكر منها كذلك قوله ﷺ: « يا معاذ، أتدرى ما حقُّ الله على العباد ؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال : « حقُّ الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا»(١) ، « إن الله أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بها ، ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها، وأنه كاد أن يبطئ بها، فقال له عيسى عليه السلام : إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها، وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها، فإمّا أن تأمرهم، وإما أن آمرهم، فقال

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٥٨ .

يحيى : أخشى إن سبقتنى بها أن يخسف بى، وأعذّب، فجمع يحيى الناس فى بيت المقدس، فامتلأ المسجد، وقعد على الشرف، فقال: إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أمرنى بخمس كلمات أن أعملهنّ، وآمركم أن تعملوا بهنّ: أولهنّ أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وإن مثل منْ أشرك بالله، كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب، أو ورق، فقال له: هذه دارى، وهذا عملى فاعمل، وأدّ إلىّ، فكان يعمل، ويؤدى إلى غير سيّده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك. . .» الحديث[(١)] ، « يقول الله ـ تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، ومن عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته، وشركه»، وفى رواية: «فأنا منه برىء، وهو للذى أشرك»[(٢)] . «يقول الله ـ تبارك وتعالى : أنا خير شريك، فمن أشرك معى شريكا فهو لشريكه، يأيها الناس، أخلصوا أعمالكم لله ـ عزّ وجلّ ـ فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أخلص له ، ولا تقولوا : هذا لله، وللرحم ، فإنها للرحم وليس لله منها شىء ، ولا تقولوا : هذ لله، ولوجوهكم ، فإنها لوجوهكم ، وليس لله منها شىء »[(٣)] ، « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد : مَنْ كان أشرك فى عمل عمله لله، فليطلب ثوابه من عند غير الله ـ عزّ وجلّ ـ فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[(٤)] .

وأتى رجل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر، والذكر؟ فقال رسول الله ﷺ : «لا شىء له» فأعادها عليه ثلاث مرات،يقول له رسول الله ﷺ : « لا شىء له »، ثم قال: « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه»[(٥)] ، « الغزو غزوان، فأمَّا مَن ابتغى به وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه، ونبهه أجر له، وأمَّا مَنْ غزا فخرا ، ورياء ، وسمعة ، وعصى الإمام ، وأفسد فى الأرض ، فإنه لم يرجع بالكفاف»[(٦)] ، «مَنْ تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » ـ يعنى ريحها[(٧)] ، « مَنْ طلب العلم ليجارى به العلماء ، أو ليمارى به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار»[(٨)] ، وسئل ﷺ : أى الذنب أعظم ؟ قال: « أن تجعل لله ندا، وهو خلقك »[(٩)] ،

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٥٨ .
(٢ ـ ٤) الأحاديث سبق تخريجها ص ٥٩ .
(٥) الحديث سبق تخريجه ص ١٧٠ .
(٦ ، ٧) الحديثان سبق تخريجهما ص ١٦٨ .
(٨) الحديث سبق تخريجه ص ١٦٨ .
(٩) الحديث سبق تخريجه ص ٦٠ .

«مَنْ حَلَف بغير الله فقد أشرك »[١] ، « يأيها الناس، إياكم وشرك السرائر ؟ » قالوا : يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: « يقوم الرجل فيصلّى، فيزيّن صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر»[٢] ، «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا : وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ قال : « الرياء، يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة ، إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذى كنتم تراءون فى الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء »[٣] ، « أيها الناس، اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل »، فقال له مَنْ شاء أن يقول: وكيف نتقيه، وهو أخفى من دبيب النمل، يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه »[٤] .

## ثانيا : ماهية الشرك ومظاهره :

وماهية الشرك تتلخص فى أن يجعل المرء نصيبا لغير الله فى كلّ ما يصدر عنه من أقوال، وأفعال ، وسلوكيات ، وخواطر، ظاهرة كانت هذه أو باطنة .

ولهذا الشرك صور، ومظاهر كثيرة، نذكر منها :

### ١ـ اتخاذ الأنداد مع الله تبارك وتعالى :

بأن يحبهم ويطيعهم كحب وطاعة الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٦٣ .

(٢) الحديث أورده المنذرى فى : الترغيب والترهيب : باب الترهيب من الرياء ١ / ٦٨ رقم (٢١) ، وعزاه إلى ابن خزيمة فى صحيحه .

(٣) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٥ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ من حديث محمود بن لبيد به ، وأخرج ابن ماجه فى: السنن : كتاب الزهد : باب الرياء والسمعة ٢ /١٤٠٥ نحوه من حديث أبى سعد بن أبى فضالة الأنصارى ـ وكان من الصحابة ـ قال : قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد : مَنْ كان أشرك فى عمل له لله فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » .

(٤) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ٤ / ٤٠٣ من حديث أبى على ، رجل من بنى كاهل ، قال: خطبنا أبو موسى الأشعرى فقال: يا أيها الناس، اتقوا هذا الشرك،فإنه أخفى من دبيب النمل،فقام إليه عبد الله ابن حزن وقيس بن المضارب فقالا: والله لتخرجنّ مما قلت أو لنأتين عمر مأذون لنا أو غير مأذون، قال: بل أخرج مما قلت: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: أيها الناس، اتقوا هذا الشرك ...» الحديث . وأورده المنذرى في: الترغيب والترهيب: باب الترهيب من الرياء وما يقوله مَنْ خاف ، شيئا منه ١/ ٧٦ وعقب عليه بقوله : « رواه أحمد والطبرانى ورواته إلى أبى على محتج بهم فى الصحيح ، وأبو على وثقه ابن حبان ولم أر أحدا جرحه، ورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة إلا أنه قال فيه : يقول كل يوم ثلاث مرات » .

دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [ البقرة : ١٦٥ ]، ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) ﴾ [ ق ] .

وسئل ﷺ (١) : أيُّ الذنب أعظم ؟ قال: «أن تجعل مع الله ندا، وهو خلقك. . .» الحديث .

وقال ﷺ لحصين ـ والد الصَّحابى الجليل: عمران : «كم تعبد مِنْ إله ؟ » قال: سبعا فى الأرض ، وواحدا فى السماء ، قال : « فإذا أصابك الضر من تدعو ؟ » قال: الذى فى السماء ، قال : « فإذا هلك المال مَنْ تدعو؟» قال: الذى فى السَّماء، قال: «فيستجيب لك وحده، وتشركهم معه، أرضيته فى الشكر،أم تخاف أن يغلب عليك ؟» قال: ولا واحدة من هاتين (٢) ، قال :وعلمتُ أنى لم أكلم مثله، قال: «يا حصين، أسلم تسلم. . . » الحديث .

## ٢ ـ الاستعانة ، أو الاستغاثة بغير الله تبارك وتعالى :

قال ﷺ لابن عباس : « . . .إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء ، لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء (٣) ، لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفَّتْ الصحف » .

فإذا دعا الإنسان مع الله غيره، فقد أشرك ؛ إذ الاستعانة أو الاستغاثة لا تكون إلا بالله ، فقد كان فى زمن النبى ﷺ منافق يؤذى المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ مِنْ هذا المنافق (٤) ، فقال النبى ﷺ : « إنَّه لا يستغاث بى ، وإنما يستغاث بالله » .

## ٣ ـ الغلو ، أو المبالغة فى تعظيم الأشخاص ، ولاسيما الموتى منهم :

إذ جاء عنه ﷺ قوله: « لا تطرونى (٥) كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله، ورسوله» ، « لا تجعلوا بيوتكم قبورا (٦) ، ولا تجعلوا قبرى عيدا، وصلُّوا علىَّ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٦٠ .
(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٦١ .
(٣، ٢) الحديثان سبق تخريجهما ص ٦١ .
(٥، ٤) الأحاديث سبق تخريجهاص ٦٢ .

وجاء أناس إلى النبى ﷺ فقالوا: يا رسول الله ، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيِّدنا، وابن سيِّدنا، فقال: «يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ، ولا يستهوينَّكم الشيطان ، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى اللّه عزَّ وجلَّ» وفى رواية أنَّه قال لهم: «السيد الله تبارك وتعالى » .

**٤ ـ الحلف بغير الله تعالى :**

إذ الحلف تعظيم، والتعظيم لا يكون إلا للحقِّ تبارك وتعالى، يقول النبى ﷺ : «مَنْ كان حالفا، فلا يحلف إلا بالله» ، « ومنْ حلف بغيرالله فقد أشرك » .

**٥ ـ الذبح لغير الله تعالى :**

إذ أن الذبح قربة، والقربة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، قال ﷺ : «لعن اللّه مَنْ ذبح لغير الله» .

ومن أجل هذا نهى الله عن أكْلِ كلِّ ما ذبح لغير الله ، فقال : ﴿ **قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** ﴾ [ الأنعام: ١٤٥ ] ، ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ** ﴾ [ الأنعام :١٢١ ] .

**٦ ـ اتخاذ بعض البشر من رجال الدين، أو من رجال الدنيا مصدر تشريع يحرمون، ويحلُّون بغير ما أذن الله، ثم طاعتهم فى كلِّ ما يشرِّعون، وإن خالف شرع الله :**

عن عدىِّ بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع رسول الله يقرأ هذه الآية : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [ التوبة :٣١ ] فقلتُ له ـ أى للنبى ﷺ : إنا لسنا نعبدهم، فقال عليه الصلاة والسلام: « أليسوا يحرِّمون ما أحلَّ الله، فتحرمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله، فتحلُّونه ؟» قلتُ : بلى، قال : « فتلك عبادتهم إياهم » .

**٧ ـ فعل الطاعات ، وأعمال البر من أجل الناس :**

وذلك إما للثناء والمحمدة، والذكر الحسن، وإما عصبية، وإمَّا طمعا فيما فى أيديهم وإمَّا ، غير ذلك.

---

(١ ، ٢) الأحاديث سبق تخريجهاص ٦٢ .
(٣ ، ٤) الحديثان سبق تخريجهما ص ٦٣ .
(٥) الحديث سبق تخريجه ص ٦٣ .

عن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال : جاء رجل إلى النبىﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانُه، فمن فى سبيل الله ؟ قال : « منْ قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » [(١)] .

وعن محمود بن لبيد قال: خرج النبىﷺ فقال: «يا أيها الناس، إياكم وشرك السرائر؟ » قالوا : يارسول الله ، وما شرك السرائر ؟ قال : « يقوم الرجل، فيصلى فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر» [(٢)] .

إلى غير ذلك من المظاهر.

ثالثا : آثار الشرك وعواقبه :

وللشرك آثارضارةً ، وعواقب مهلكة ، نذكر منها :

١ـ القلق والاضطراب النفسى : وذلك هو ما نلمحه من قوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾ [ الأنعام ] ، ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [ التغابن :١١ ] .

٢ـ إحباط العمل، وإن كان كالجبال : كما قال سبحانه : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) ﴾ [ طه ] ، ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) ﴾ [الفرقان]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [ النساء :١١٦ ] .

وكما قال رسول اللهﷺ : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرياء ، يقول الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة ، إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذى كنتم تراءون فى الدنيا، فانظروا: هل تجدون عندهم الجزاء » [(٣)] ، « يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى، فأنا منه برىء ، وهو للذى أشرك » [(٤)] .

٣ـ الحرمان من الهداية، والتوفيق: ذلك أن الله عزَّ وجلَّ هو وحده الذى يملك الهداية والتوفيق، وهو وحده الذى يمنّ بهما على مَنْ يشاء، ويمنعهما ممن يشاء، لا رادَّ لقضائه ، ولا معقِّب لحكمه ، وقد مضت سنته ، وجرى قضاؤه أنه لا يمنحهما إلا

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص١٦٣ .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٢٠٥ .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص ٢٠٥.

(٤) الحديث سبق تخريجه ص ١٧٠ .

لمن علم منه صدق الإخلاص ، وحسن التوجُّه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧) ﴾ [ الرعد ] ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) ﴾ [ الشورى ] .

ومن بدَّد هذا الإخلاص، وذلك التوجه، فقد حرم نفسه من الهداية والتوفيق، وصدق الله القائل : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) ﴾ [الصف ] ، ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ [ مريم : ٧٥ ] .

٤ـ نزع الهيبة من قلوب الناس: ذلك أن الله وحده هو الذى يملك غرس هذه الهيبة فى قلوب مَنْ يشاء مِنْ عباده، بيد أن ذلك مرهون بتقديم الإخلاص بين يدى كلِّ سلوك، أو تصرف، والمشرك أضاع هذه الرهينة، فضيَّع الله عليه الهيبة، ونزعها منْ قلوب الناس، فصار هيِّنا عليهم: ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ ﴾ [ الحج : ١٨ ] .

٥ـ العذاب الشديد فى الآخرة مع الخلود فى النار : كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) ﴾ [البينة] ، ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾ [الحج ] ، ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) ﴾ [ ق ] .

٦ـ تأخر المجتمع وانحطاطه: ذلك أن المشرك إنما يراقب الخلق لا الخالق والخلق مهما كانت طاقاتهم، وإمكاناتهم، عاجزون عن المتابعة فى كل بيئة، وفى كل وقت، وفى كل ظرف، أو ملابسة، ومثل هذا العجز يؤدى حتما إلى عدم إتقان العمل، ومن ثم تتأخر الجماعة وينحط قدرها فى نظر الأعداء، والخصوم.

رابعا : طريق الخلاص من الشرك :

وطريق الخلاص من الشرك، بل ووقاية النفس من شره تتلخص فى :

١ـ تذكر عواقب الشرك على النحو الذى قدمنا، فإن لذلك إثرا كبيرا في تحريك القلوب لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، ثم الإقلاع عن هذا الداء الخطير.

٢ـ معرفة الله ـ عز وجل ـ حقَّ المعرفة ، فإن هذه المعرفة تعين على تقدير الله حق قدره. . . الأمر الذى يؤدى إلى التخلص من الشرك، وخير وسيلة لذلك : العيش مع الحقِّ تبارك وتعالى فى كونَيْه: المسطور، والمنظور: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَق ﴾ [ فصلت : ٥٣ ] . ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾ [الذاريات ].

٣ـ دوام النظر أو السماع للنصوص المحذرة من الشرك، والداعية إلى التوحيد، والإخلاص، فإن بداية الإقلاع عن الأخطاء والالتزام بالصواب، إنما تكون بوضوح الرؤية، ودقة التصور ؛ إذ أن من جهل شيئا عاداه ، كما يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُه ﴾ [ يونس : ٣٩ ] .

٤ـ محاسبة النفس أولا بأول للوقوف على عيوب هذه النفس ثم التخلص منها، ولقد أمرنا الله ـ عز وجل ـ بهذه المحاسبة حين قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ [الحشر ] .

٥ـ اللجوء التام إلى الله، والاستعانة به ، فإن من لجأ إلى الله واستعان به، وكان صادقا فى ذلك أيده الله ، وأعانه ، وصدق رسول الله ﷺ إذ خطب ذات يوم فقال: « أيها الناس، اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل » ، فقال له مَنْ شاء أن يقول : وكيف نتقيه، وهو أخفى من دبيب النمل، يا رسول الله ؟ قال: « قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه» (١) .

٦ـ التذكر بأن كل شيء فى هذا الكون يجرى بقضاء وقدر ، كما قال سبحانه : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [ الحديد ] .

وأن الخلق مهما كانت قوتهم، ومهما كان سلطانهم عاجزون عن أن يجلبوا لأنفسهم نفعا، أو يدفعوا عنها ضرا فضلا عن أن يملكوا ذلك لغيرهم كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) ﴾ [ الأعراف ] ، ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ [ الجاثية :١٩ ].

وإذا كان هذا هو شأن الخلق ، فكيف نشركهم مع الله فى العبادة والتوجه؟!

## ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا فوائد، نذكر منها :

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٢٠٥.

١ـ اتقاء الشـرك بكل أشكاله، وصوره، وإلا حبط العمل، وكان الخسران المبين: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) ﴾ [ الزمر ].

٢ـ أن عذاب الآخرة ليس مقصورا على إيذاء البدن ، وإنما يتجاوز ذلك إلى إيذاء الروح، حيث يكون هناك التوبيخ ، والتأنيب ،والتقريع ، وهذا له عند بعض الناس ألم أشد من ألم البدن ، وعقلاء البشر هم الذين يعملون جاهدين على اتقاء هذا العذاب ، وذلك بالنزول على حكم الله واتباع منهجه فى كل ما أمر به ، أو نهى عنه.

٣ـ أن كل إنسان سيشهد على نفسه يوم القيامة بما قدمت يداه، ولعل صورة العذاب الواردة فى الحديث برهان قاطع، وحجـة دامغـة من الله على عباده : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ [ الأنعام:١٤٩ ].

٤ـ أن عذاب الآخرة شديد ، بدليل أن الإنسان لو كان بمقدوره أن يفدى نفسه بكل ما فى الأرض منْ شىء لفعل كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨) ﴾ [الزمر]، ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨) ﴾ [الرعد ].

## الحديث الثلاثون

قيل : يا رسول الله ، ما يعدل الجهاد فى سبيل الله ؟

قال : « لا تستطيعون » ، وأعادوا عليه مرتين ، أو ثلاثا ، كل ذلك يقول : « لا تستطيعون » ، ثم قال :

« مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم، القائم، القانت بآيات الله ، لا يفتر من صلاة ، ولا صيام ، حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله » .

تخريجه :

الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجهاد: باب فضل الجهاد والسير ٤/ ١٨ .

ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل الشهادة فى سبيل الله ٣/ ١٤٩٨ رقم ( ١٨٧٨ ).

والترمذى فى : السنن : كتاب فضائل الجهاد : باب فضل الجهاد ٣/ ٨٨ رقم (١٦٦٩) .

والنسائى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب ما يعدل الجهاد فى سبيل الله ـ عز وجل ٦/ ١٩ .

وأحمد فى: المسند ٢/ ٣٤٤، ٤٢٤ كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعا به، وبنحوه، واللفظ للبخارى .

معناه :

يعدُّ الجهاد بأوسع ما تتضمنه كلمة جهاد وسيلة الأمة المسلمة لأداء دورها وواجبها على ظهر هذه الأرض كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [ الحج ] .

ولما كان الجهاد محفوفا بالمتاعب والمخاطر من التشريد والأسر، أو التعذيب والقتل، أو الحرمان من الوظائف ، ومفارقة المال ، والأهل ، والولد ، والوطن ، لما كان كذلك احتاجت النفوس إلى مرغبات ودوافع تهوّن عليها ذلك كله، وتجعلها تستعذب كل شيء في سبيل أدائها لواجبها، والظفر برضوان الله ـ عز وجل ـ وجنته.

والحديث الذى نحن بصدد شرحه، وبيانه الآن يتضمن بعض هذه المرغبات، وتلك الدوافع، وخلاصتها : أن الجهاد فى سبيل الله يعدل الصيام والقيام دون فتور وتوان ، من حين يخرج المجاهد من داره حتى يرجع إليها مرة أخرى بعد أدائه لمهمته وواجبه ، ومن يستطيع الصيام والقيام طوال هذه الفترة دون فتور وتوان ؟ لا أحد ، ويبقى الجهاد لا يعدله شيء سوى جهاد مثله ، ولقد جاء التصريح بذلك من رسول الله ﷺ بعد سؤال تكرر مرتين أو ثلاثا، ليتمكن هذا التصريح من النفس أفضل تمكن.

وحتى تبرز معالم الحديث بصورة أوضح فإننا سنتناوله بإذن الله من الجوانب التالية :

**الجانب الأول** : ماهية الجهاد عموما، والمراد به فى الحديث خصوصا.

**الجانب الثانى** : فوائد الجهاد وثمراته فى الدنيا والآخرة.

**الجانب الثالث** : بعض النصوص الأخرى الواردة فى فضل الجهاد.

**الجانب الرابع** : العوامل التى تساعد على حبِّ الجهاد وغرسه فى النفس .

ودونك البيان :

## أولا : ماهية الجهاد عموما ، والمراد به فى الحديث خصوصا :

### لغة :

الجهاد لغة : مأخوذ من مادة جهد، وهذه المادة تدور على معان عدة نذكر منها :

١ ـ الطاقة، ومنه قوله تعالى فى سورة التوبة : ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (٧٩) ﴾ [ التوبة ] .

٢ ـ المشقة ، يقال : جهد دابته ، وأجهدها ، إذا حمل عليها فى السَّيْر فوق طاقتها ، وجهد الرجل فى كذا : أى جدّ فيه ، وبالغ .

٣ ـ البذل ، تقول : جهدتُ اللبن فهو مجهود : أى أخرجتُ زبده كله [١].

ولا تعارض بين هذه المعانى جميعا ، إذ هى بمجموعها يمكن أن تؤلف الحقيقة اللغوية لكلمة الجهاد، وخلاصة هذه الحقيقة أن الجهاد هو: المشقة ببذل أقصى ما فى الطاقة والوسع .

شرعا :

أما الجهاد شرعا فله إطلاقان: أحدهما عام، والآخر خاص .

أمّا العام فهو: المشقة ببذل أقصى مافى الطاقة والوسع من أجل إعلاء كلمه الله ـ عز وجل .

وهذا يتناول: جهاد النفس ـ وهو الأهم ـ حتى كانت التربية الإلهية للجماعة المسلمة أول مرَّة تدور حول هذه النوع من الجهاد : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [ النساء: ٧٧ ] ، وحتى كانت السنة الإلهية دائما فى التغيير: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [ الرعد : ١١ ] .

كما يتناول جهاد الغير بأى لون من ألوان الجهاد : باليد ، باللسان ، بالقلب، ويتناول كذلك تجهيز الغزاة ، أو القيام بحاجة أهليهم وأولادهم وذويهم ، سواء رجعوا إليهم، أو لقوا ربهم شهداء ، بل يتناول ما هو أبعد من ذلك، إنه يتناول استحضار نية الجهاد والغزو، ما دامت هناك عين تطرف ، أو عرق ينبض، مع أخذ الأهبة والاستعداد ولتحويل هذه النية إلى واقع حىّ ، متحرك فى دنيا الناس.

وسند هذا الإطلاق بعمومه النصوص المأثورة عن النبىﷺ والتى منها قولهﷺ : «كل ميت يختم على عمله، إلا الذى مات مرابطا فى سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنه القبر» [٢] ، « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء

---

(١) انظر: الصحاح فى اللغة والعلوم لنديم وأسامة المرعشليين ص ١٦٦ بتصرف .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١١٩ .

ذلك من الإيمان حبة خردل»[١]، « ألا أخبركم بالمؤمن ؟ مَنْ أمنه الناس على أموالهم، وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله، والمهاجر مَنْ هجر الخطايا والذنوب »[٢]، « أفضل الجهاد كلمةُ عدل عند سلطان جائر، أو أمير جائر»[٣]، « مَنْ جهّز غازيا فى سبيل الله فقد غزا، ومَنْ خلفه فى أهله بخير فقد غزا»[٤]، «مَنْ مات، ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق »[٥]، « منْ سأل الله الشهادة بصدق ، بلّغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه »[٦] إلى غير ذلك من النصوص .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الإيمان: باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان ١/ ٦٩، ٧٠ رقم ٨٠ (٥٠) ، وأحمد فى : المسند ١ / ٤٥٨ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٦/ ٢١، ٢٢ من حديث فضالة بن عبيد ﷺ مرفوعا.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن: كتاب الملاحم: باب الأمر والنهى ٤/ ١٢٤ رقم (٤٣٤٤) ، والترمذى فى : السنن: كتاب الفتن: باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر٤/ ٤٧١ رقم (٢١٧٤) والنسائى فى : السنن: كتاب البيعة : باب فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر٧/ ١٦١، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن:باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٢ / ١٣٢٩ رقم (١٠١١) وفى سنده: عطية العوفى، وهو ضعيف، وأحمد فى: المسند ٣ /١٩، ٦١، ٤/ ٣١٤ ، ٣١٥ ،٥/ ٢٥١ ، ٢٥٦، كلهم من حديث أبى سعيد الخدرى إلا النسائى وأحمد فى إحدى رواياته فإنه عندهما من حديث طارق بن شهاب البجلى الأحمسى، وإلا أحمد فى الرواية الأخيرة، فإنه عنده من حديث أبى أمامة .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجهاد: باب فضل مَنْ جهز غازيا أو خلفه بخير ٤/ ٣٢، ٣٣، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل إعانة الغازى فى سبيل الله ٣/ ١٥٠٦، ١٥٠٧ رقم (١٨٩٥)، وأبو داود فى: السنن : كتاب الجهاد : باب ما يجزئ من الغزو ٣/ ١٢ رقم (٢٥٠٩) ، والترمذى فى: السنن : كتاب فضائل الجهاد : باب فضل من جهز غازيا ٤/ ١٦٩ ، ١٧٠ رقم (١٦٢٨ ـ ١٦٣١)، والنسائى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فضل من جهز غازيا ٦ / ٤٦ ، والدارمى فى : السنن : كتاب الجهاد: باب فضل من جهز غازيا ٢/ ٢٠٩ ، وأحمد فى:المسند ١/ ٢٠، ٥٣، ٥/ ١١٤ ـ ١١٧، ٥/ ١٩٢، ١٩٣ كلهم من حديث زيد بن خالد الجهنى ﷺ مرفوعًا به وبنحوه، ومن حديث عمر ابن الخطاب ﷺ فى إحدى روايات أحمد بنحوه.

(٥) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة: باب ذم من مات ولم يغز ٣ /١٥١٧ رقم (١٥٨)، وأبو داود فى : السنن : كتاب الجهاد : باب كراهية ترك الغزو ٣ / ١٠ رقم (٢٥٠٢) ، والنسائى فى: السنن : كتاب الجهاد : باب التشديد فى ترك الجهاد ٦ /٨ ، وأحمد فى : المسند ٢/ ٣٧٤ كلهم من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعا به.

(٦) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة: باب استحباب طلب الشهادة فى سبيل الله تعالى ٣/ ١٥١٧ رقم (١٩٠٩)، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الجهاد: باب القتال فى سبيل الله سبحانه وتعالى ٢/ ٩٣٥ رقم (٢٧٩٧) ، والدارمى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فيمن سأل الله الشهادة ٢/ ٢٠٥، كلهم من حديث سهل بن حنيف ﷺ مرفوعاً به، وأخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فيمن سأل الله تعالى الشهادة ٣ / ٢١ رقم (٢٥٤١) ، وأحمد فى : المسند ٥ / ٢٢٤ كلاهما نحوه من حديث معاذ بن جبل ﷺ .

وأمَّا الإطلاق الخاص فهو : المشقة ببذل الجهد فى قتال العدو، وبأىّ وسيلة كانتْ كالسيوف، والرماح، والسِّهام، والدبابات، والمدافع، والطائرات، والخيول ونحوها، وهذا هو المراد من الحديث الذى معنا الآن، والقرينة هى قوله ﷺ فى هذا الحديث: «مثل المجاهد فى سبيل الله، كمثل الصائم، القائم، القانت بآيات الله، لايفتر من صلاة، ولا صيام، حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله».

## ثانيا : فوائد الجهاد وثمراته فى الدنيا والآخرة :

وللجهاد فوائد وثمرات فى الدنيا والآخرة ، نذكر منها :

١ـ أنه مصدر الغنى واليسار، لمن أراد الغنى واليسار، فمن ورائه تكون الغنيمة، والفيء، والخراج، والجزية، ونحوها، وهذه فى مجموعها ـ مع كونها أطيب الرزق، والكسب ـ يمكن أن توصل إلى الغنى ، وبعبارة أخرى يمكن أن توصل إلى التحرر من السيطرة الاقتصادية، تلك التى يتخذها أعداء الله سبيلا يدخلون منها إلى العقول والقلوب والديار: «بعثت بين يدى الساعة بالسيف، وجعل رزقى تحت ظل رمحى»(١)، «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلى . . . وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد من قبلى »(٢) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى (تعليقاً) فى: الصحيح: كتاب الجهاد والسير: باب ما قيل فى الرماح، ويذكر عن ابن عمر عن النبى ﷺ : « جعل رزقى تحت ظل رمحى. . .» ٤/ ٤٩، وأحمد فى: المسند ٢/ ٥٠، ٩٢ من طريق أبى منيب الجرشى عن ابن عمر مرفوعا به، وأورده الحافظ ابن حجر فى: الفتح ٦/ ٩٨ وعزاه إلى أحمد ثم عقب عليه قائلا: «وأبو منيب لا يعرف اسمه، وفى الإسناد عبد الرحمن بن ثابت ابن ثوبان مختلف فى توثيقه، وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبى شيبة (المصنف : كتاب الجهاد : باب ما قالوا فيما ذكر من الرماح واتخاذها ٢/ ٣٤٩، ٣٥٠) من طريق الأوزاعى، عن سعيد بن جبلة ، عن النبى ﷺ بتمامه » بيد أنه يؤخذ على الحافظ ابن حجر قوله : « عن سعيد بن جبلة عن النبى ﷺ بتمامه » فإنه كما فى: المصنف: عن سعيد بن جبلة عن طاوس عن النبى بتمامه، ولعل طاوسا سقط سهوا أو نسيانا، وقد أخرج ابن أبى شيبة فى: المصنف ١٢/ ٣٥١ حديث ابن عمر، كما عند أحمد إسناداً ومتنا .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب التيمم: باب منه ١/ ٩١، ٩٢، وكتاب الصلاة: باب قول النبى ﷺ : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » ١/ ١١٩ ، وكتاب فرض الخمس : باب قول النبى ﷺ : «أحلت لكم الغنائم » ٤/ ١٠٤ من حديث جابر بن عبد الله مرفوعا، ومسلم فى: الصحيح: كتاب المساجد، ومواضع الصلاة: باب منه ١/ ٣٧٠، ٣٧١ رقم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله ، ورقم (٥٢٣) من حديث أبى هريرة ، وفيه: «فضلتُ على الأنبياء بست» بدل: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى»، والترمذى فى: السنن: كتاب السير: باب ماجاء فى الغنيمة ٤/ ١٢٣ رقم (١٥٥٣) من حديث أبى هريرة، وعقب عليه بقوله: « هذا حديث حسن صحيح» ، والنسائى فى: السنن: كتاب الطهارة : باب التيمم بالصعيد ١/ ٢٠٩ ـ ٢١١ من حديث جابر بن عبد الله ، وأحمد فى : المسند =

٢ـ وأنه مصدر العزّة ، والكرامة ، أو العبودية الحقة ، لله وحده لا شريك له فلا إكراه ولا مثيرات، ولا إغراءات ولاتحكم من العباد فى رقاب العباد : « بعثت بين يدى الساعة بالسيف ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له. . . وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى . . .» (١). « اللهم انجز لى ما وعدتنى، اللهم آت ماوعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض» (٢).

٣ـ وأنه مبعث التقوى والاستقامة، إذ المجاهد بحاجة إلى عون ربه، وقد جرت السنة الإلهية أنه سبحانه لا يعطى عونه وتأييده إلا لأهل التقوى والاستقامة، فإن كان ذلك لغيرهم، فإنما هو الاستدراج والمكر، عن ابن عباس قال: كنت خلف النبىﷺ يوما فقال : « يابنى، إنى أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. . .» الحديث (٣).

٤ـ وأنه طريق وحدة الصف، وجمع الكلمة، إذ أن النصر فى الجهاد لابد له من وحدة الصف، وجمع الكلمة، وقد مضت سنة الله فى خلقه ألا يعطى نصره التام، إلا لذوى الصف الواحد والكلمة الواحدة: «إنه سيكون بعدى هنات، وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يفرق أمر أمة محمدﷺ كائناً من كان فاقتلوه، فإن

---

= ٢/ ٤١١ ، ٤١٢ من حديث أبى هريرة ٥/ ٢٤٨، ٢٥٦ من حديث أبى أمامة الباهلى ولفظه كما عند البخارى فى: التيمم: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم، ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة ».

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٢٣ .

(٢) الحديث جزء حديث طويل، أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الجهاد والسير: باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر، وإباحة الغنائم ٣/ ١٣٨٣ ـ ١٣٨٥ رقم (١٧٦٣)، والترمذى فى: السنن : كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأنفال ٥/ ٢٦٩، ٢٧٠ رقم (٣٠٨١) ، وأحمد فى: المسند ١/ ٣٠ ـ ٣٣ من حديث عبد الله بن عباس، عن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعاً به، وعقب الترمذى على روايته قائلا: « هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمر بن إبراهيم، عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد، ولم يرفعه ، وعمر بن إبراهيم شيخ بصرى ». وأورده البخارى فى: الصحيح: كتاب الجهاد والسير: باب ما قيل فى درع النبىﷺ ٤/ ٤٩ من حديث ابن عباس بنحوه مختصراً، ولفظه: أنهﷺ قال، وهو فى قبة : « اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم . . . » .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة : باب منه ٤ / ٦٦٧ رقم (٢٥١٦) ، وأحمد فى: المسند ١ / ٢٩٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ كلاهما من حديث عبد الله بن عباس ﷺ مرفوعا واللفظ للترمذى، وقال عقبه : « هذا حديث حسن صحيح » .

يد الله مع الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض» (١). وقد أكد هذه الفائدة، وهذه الثمرة عمليا ما وقع فى ٦٥٨هـ، إذ كان هناك خلاف بين سلطان الشام وملك الكرك والشوبك من ناحية، وبين سلطان مصر المظفر قطز، من ناحية أخرى، وكانت النية مبيتة من الأولين على قتال الثالث، وانتزاع مصر من قبضته، وما أن تواترت الأخبار بزحف التتار ناحية بلاد الشام ومصر، حتى نسى الفريقان ما بينهما من عداوة، وهبوا للقاء التتر تحت راية قطز فى معركة عين جالوت، فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان من نفس السنة، وكان النصر المؤزر للإسلام وأهله، والهزيمة النكراء للتتر وأعوانهم من اليهود والنصارى والمنافقين من المسلمين (٢).

٥- وأنه سبيل الهداية والتوفيق، ولاسيما فى المواقف المفاجئة، بل المشكلات الشائكة: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ [العنكبوت]. وأوضح ﷺ ذلك بقوله: « يقول الله تعالى: مَنْ عادى لى ولياً، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه وإن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله، ترددى عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته » (٣).

---

(١) الحديث أخرجه النسائى فى: السنن: كتاب تحريم الدم: باب قتل مَنْ فارق الجماعة ٧/ ٩٢، ٩٣ من رواية زياد بن علاقة عن عرفجة بن شريح الأشجعى مرفوعا به، والترمذى فى: السنن: كتاب الفتن: باب ماجاء فى لزوم الجماعة ٤/ ٤٦٦ رقم( ٢١٦٦) من حديث ابن عباس مرفوعًا به، وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه»، وهو بعض حديث عنده من رواية عبد الله بن دينار عن ابن عمر رقم( ٢١٦٧)، وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».

(٢) انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ١٣/ ٢١٨ - ٢٢١ بتصرف كثير، وعنه نقل القادرى فى: الجهاد فى سبيل الله ٢/ ٤٦٣، ٤٦٤.

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الرقاق: باب التواضع ٨/ ١٣١ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به، وأخرج أحمد فى: المسند ٦/ ٢٥٦ نحوه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « قال الله عزّ وجل: من أذلّ لى وليا فقد استحلّ محاربتى، وما تقرب إلىّ عبدى بمثل أداء الفرائض، وما يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، إن سألنى أعطيته، وإن دعا بى أجبته، وما ترددت عن شىء أنا فاعله تردد على وفاته؛ لأنه يكره الموت وأكره مساءته».

وقد فطن إلى هذا سلف الأمة ﷺ ، وحسبنا ما أثر عن سفيان بن عيينة ، إذ قال لعبد الله بن المبارك: إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين، وأهل الثغور، فإن الله تعالى يقول : ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُم ﴾ [ العنكبوت : ٦٩ ] .

٦ـ وأنه سبيل جريان الأجر والثواب ما دام الجهاد باقيا وما دامت النية لم تنقطع: «مثل المجاهد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ـ كمثل الصائم، القائم، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة» (١). «من احتبس فرسا فى سبيل الله، إيمانا بالله، وتصديقا بوعده، فإن شبعه، وريّه وروثه فى ميزانه يوم القيامة » (٢).

٧ـ وأنه طريق الصحة والعافية والقوة البدنية، إذ هو يتطلب حركة دائبة وسعيا مستمرا، والحركة الدائبة والسعى المستمر هما طريق إلى الصحة، والعافية، والقوة البدنية، إذ يقول ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منّا حديثا فحفظه حتى يبلغه، فربَّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقه منه، وربَّ حامل فقه ليس بفقيه » (٣).

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح: كتاب الجهاد: باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله ٤/ ١٨، ١٩، ومسلم فى : الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى ٣/ ١٤٩٨ رقم (١٨٧٨)، والنسائى فى : السنن: كتاب الجهاد: باب ماتكفل الله عزّ وجل لمن يجاهد فى سبيله ٦/ ١٧، ومالك فى : الموطأ : كتاب الجهاد : باب الترغيب والترهيب فى الجهاد ص ٣٣١ رقم (٩٧٣)، وأحمد فى : المسند ٢/ ٤٣٨، ٤٥٩، ٤٦٥ كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعا به، وبنحوه .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجهاد: باب من احتبس فرسا ٤/ ٣٤، والنسائى فى: السنن: كتاب الخيل: باب علف الخيل ٦/ ٢٢٥، وأحمد فى: المسند ٢/ ٣٧٤ كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعا واللفظ للبخارى، وأخرج أحمد نحوه ٦/ ٤٥٨ من حديث أسماء بنت يزيد مرفوعا، وهذا لفظه: « من ارتبط فرسا فى سبيل الله كان شبعه وجوعه وريه وظمأه وبوله وروثه فى ميزانه يوم القيامة، ومن ارتبط فرسا رياء وسمعة كان ذلك خسرانا فى ميزانه يوم القيامة ».

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب العلم: باب فضل نشر العلم ٣/ ٣٢٢ رقم (٣٦٦٠) من حديث زيد بن ثابت مرفوعا بهذا اللفظ، والترمذى فى السنن: كتاب العلم: باب ما جاء فى الحث على تبليغ السماع ٥/ ٣٣ ، ٣٤ رقم (٢٦٥٦) من حديث زيد بن ثابت مرفوعا به ، وعقب عليه بقوله: «وفى الباب عن عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وجبير بن مطعم وأبى الدرداء وأنس، وحديث زيد بن ثابت حديث حسن» ، ورقم (٢٦٥٧، ٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود بمعناه وزيادة : « ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط بهم من ورائهم» وعقب عليه قائلا : « هذا حديث حسن صحيح » ، وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب من بلغ علما ١/ ٨٤ ـ ٨٦ رقم (٢٣٠) من حديث زيد بن ثابت، ورقم (٢٣١) من حديث جبير بن مطعم، ورقم (٢٣٢) من حديث ابن مسعود ، ورقم (٢٣٦) من حديث أنس بن مالك مرفوعا به وبنحوه، وكتاب المناسك: باب الخطبة يوم النحر ٢/ ١٠١٥، ١٠١٦ رقم (٣٠٥٦) من حديث المطعم بن عدى، وقد تكلم الحافظ شهاب الدين البوصيرى فى: مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه ١ / ٣٢ ، ٣٣ ، =

٨ـ وأنه سبيل تنبيه الغافلين، وانتشال الغارقين، وإيقاظ النائمين من الناس، فإن الإنسان خلق يوم خلق فطرة بيضاء نقية، لديها استعداد للخير واستعداد للشر: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس]، والبيئة التى ينشأ فيها الإنسان، أو التى تحيط به هى التى تساعد فى صنعه على شاكلتها، إن كانتْ خيرة كان خيرا، وإن كانت شريرة كان شريرا: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (١) والأخذ بأيدى هؤلاء قوة للحق على الطريق.

٩ـ وأنّه السبيل لإقامة الحجة على المصرّين والمعاندين فإن نفرًا من النّاس فى فطرتهم عوج والتواء، وإصرار وعناد، وأمثال هؤلاء لا يفيقون إلا فى وقت الشدائد والمحن، والواجب نحوهم إنما هو التذكير، والإنذار والتخويف، حتى إذا نزلت الشدائد، وكان العقاب لا يقولون: لو وجدنا مَنْ أرشدنا، ودلنا على الطريق لكنا أهدى الناس، وأقومهم قيلا ؟ ومنْ ثم يتوجهون بالعتاب، واللوم: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٦٤﴾ [الأعراف]

هذه بعض فوائد الجهاد وثمراته فى الدنيا، أما فوائد الجهاد وثمراته فى الآخرة فكثيرة، وأهمها:

١ـ أنّه سبيل عدم الشعور بالألم عند الموت، أو القتل إلا شيئا يسيرا، أشبه بمس القرصة: «ما يجد الشهيد مِنْ مس القتل إلا كما يجد أحدكم مِنْ مس القرصة» (٢).

---

= ٢/ ٦٠ على أسانيد بعض هذه الأحاديث، مبينا أنها ثابتة المتون عند الأئمة، والدارمى فى: السنن: المقدمة: باب الاقتداء بالعلماء ١/ ٧٤ ـ ٧٦ من حديث جبير بن مطعم وزيد بن ثابت وأبى الدرداء، وأحمد فى: المسند ١/ ٤٣٧ من حديث أنس بن مالك، و ٤/ ٨٠ ـ ٨٢ من حديث جبير بن مطعم، و٥/ ١٨٣ من حديث زيد ابن ثابت ﷺ.

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب من يؤمر أن يجالس ٤/ ٢٥٩ رقم (٤٨٣٣)، والترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب منه ٤/ ٨٥٩ رقم (٢٣٧٨)، وأحمد فى: المسند٢/ ٣٠٣، ٣٣٤ كلهم من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعا واللفظ لأحمد، وعقب الترمذى على حديثه قائلا: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب فضائل الجهاد: باب منه ٣/ ١٠٩ رقم (١٧١٩)، والنسائى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب ما يجد الشهيد من الألم ٦/ ٣٦، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فضل الشهادة فى سبيل الله ٢/ ٩٣٧ رقم (٢٨٠٢)، والدارمى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فضل الشهيد ٢/ ٢٠٥، وأحمد فى: المسند ٢/ ٢٩٧ كلهم منْ حديث أبى هريرة مرفوعا، وعقّب الترمذى قائلا: «هذا حديث حسن غريب صحيح».

٢ـ وأنَّه سبيل عدم الفتنة فى القبر، فقد سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد ؟ فقال : « كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة » (١).

٣ـ وأنَّه طريق مغفرة كل الذُّنوب إلا الدَّين، فقد قال ﷺ : « القتل فى سبيل الله يكفر كل شىء إلا الدَّينَ » (٢).

٤ـ وأنه طريق الظفر بالجنة، مع النجاة من أهوال وشدائد يوم القيامة: يقول ﷺ : « للشهيد عند الله ستُّ خصال: يغفر له فى أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلَّى حلة الإيمان ، ويزوّج من الحور العين ، ويشفع فى سبعين إنسانا من أقاربه » (٣).

وسأل رجل رسول الله ﷺ : أى الشهداء أفضل؟ قال:«الذين إن يلقوا فى الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك ينطلقون فى الغرف العلى من الجنة، ويضحك إليهم ربهم ، وإذا ضحك ربّك إلى عبد فى الدنيا فلا حساب عليه » (٤)» « من

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٣١ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة: باب من قتل فى سبيل الله كفرت خطاياه ٣/١٥٠٢ رقم ١١٩، ١٢٠، وأحمد فى: المسند ٢/ ٢٢٠ كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا به وبنحوه واللفظ لمسلم ، وأخرج نحوه ابن ماجه فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فضل غزو البحر٢/٩٢٨ رقم (٢٧٧٨) من حديث أبى أمامة مرفوعا، ولفظه: «شهيد البحر مثل شهيدى البر ، والمائد فى البحر كالمتشحط فى دمه فى البر، وما بين الموجتين كقاطع الدنيا فى طاعة الله ، وإن الله عز وجل وكل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهيد البحر فإنه يتولى قبض أرواحهم، ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدّين، ولشهيد البحر الذنوب ، والدين » .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب فضائل الجهاد: باب منه ٣/١٠٦ رقم (١٧١٢)، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فضل الشهادة فى سبيل الله٢/٩٣٥، ٩٣٦ رقم (٢٧٩٩) وأحمد فى: المسند ٢/ ١٣١، ٢٠٠ كلهم من حديث المقدام بن معد يكرب مرفوعا ، واللفظ لابن ماجه .

(٤) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٥/ ٢٨٧ من حديث نعيم بن همّار مرفوعا به، وأورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد: كتاب الجهاد : باب ما جاء فى الشهادة وفضلها ٥/ ٢٩٢ منْ حديث نعيم بن همّار مرفوعا به ، ثم عزاه إلى أحمد ، وأبى يعلى ، والطبرانى فى الكبير ، والأوسط قائلا : « رواه أحمد، وأبو يعلى، وقال: عن نعيم بن همار، أنه سمع النبى ﷺ وجاءه رجل فقال: أى الشهداء أفضل ؟ قال: «الذين يلقون فى الصف الأول ...» والباقى بنحوه، والطبرانى فى الكبير، والأوسط بنحوه، ورجال أحمد، وأبى يعلى ثقات » .

مات مرابطا فى سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح الذى كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع» (١) .

ثالثا : بعض النصوص الأخرى الواردة فى فضل الجهاد :

هذا وقد وردت نصوص أخرى فى فضل الجهاد، نذكر منها :

قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) ﴾ [ آل عمران ] ، ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) ﴾ [ النساء ] ، ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦) ﴾ [ النساء ] ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) ﴾ [ الأنفال ] ، ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢) ﴾ [التوبة] ، ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) ﴾ [ التوبة ] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [ التوبة ] ، ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن: كتاب الجهاد: باب فضل الرباط فى سبيل الله ٢/ ٩٢٤ رقم (٢٧٦٧) من حديث أبى هريرة مرفوعا بهذا اللفظ، وأورده البوصيرى فى : مصباح الزجاجة ٣/ ١٥٥ وعقب عليه بقوله: « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، رواه البزار فى مسنده عن أحمد بن منصور بن سيار، عن عبد الله بن صالح عن الليث، عن زهرة بن معبد، عن أبى صالح مولى عثمان، عن عثمان، وأبى هريرة به، وله شاهد من حديث سلمان الفارسى ، ورواه مسلم فى : صحيحه، وغيره، ورواه الإمام أحمد فى : مسنده من حديث أبى هريرة أيضا، ومن حديث عقبة بن عامر الجهنى ».

الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩) ﴾ [التوبة] ، ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ﴾ [الحج] ، ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) ﴾ [محمد] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) ﴾ [ الصف ] ، ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ (١٥٤) ﴾ [البقرة] ، ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) ﴾ [ آل عمران ] .

وقوله ﷺ : « تكفل الله لمن جاهد فى سبيله، لا يخرجه من بيته إلا جهاد فى سبيله، وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة» (١) ، «منْ آمن بالله وبرسوله، وأقام الصّلاة، وصام رمضان،

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب فرض الخمس: باب قول النبى ﷺ :«أحلت لكم الغنائم» ٤ / ١٠٤ ، وكتاب التوحيد : باب ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، وباب قول الله تعالى : ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ ٩/١٦٦، ١٦٨ من رواية أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة مرفوعاً بتمامه ، وكتاب الجهاد : باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله ١٨/٤ من رواية سعيد بن المسيب عن أبى هريرة مرفوعاً بلفظ: « مثل المجاهد فى سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله، كمثل الصائم القائم ... » الحديث، ومسلم فى : الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل الجهاد والخروج فى سبيل الله ٣/١٤٩٥، ١٤٩٦ رقم (١٠٣، ١٠٤) من حديث أبى هريرة مرفوعاً به، وبنحوه، ولكن مطولا ،ورقم (١٠٧) بلفظ: «تضمن الله لمن خرج فى سبيله» حتى قال: « ولولا أن أشق على أمتى ماتخلفتُ خلاف سرية تغزو فى سبيل الله تعالى»، والنسائى فى: السنن: كتاب الجهاد : باب ما تكفل الله عز وجل لمن يجاهد فى سبيله ٦/١٦، ١٧ من حديث أبى هريرة مرفوعا به، وبنحوه، وباب ثواب السرية التى تخفق ٦/١٨ من حديث ابن عمر ﷺ مرفوعا بلفظ: قال رسول الله ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال: «أيما عبد من عبادى خرج مجاهدا فى سبيل الله ابتغاء مرضاتى ضمنتُ له ان أرجعه إن أرجعته بما أصاب من أجر وغنيمة، وإن قبضته غفرت له ورحمته» وكتاب الإيمان: باب الجهاد ٨/١١٩، ١٢٠ من حديث أبى هريرة مرفوعًا به وبنحوه، وابن ماجه فى:السنن: كتاب الجهاد: باب فضل الجهاد فى سبيل الله ٢/ ٩٢٠ رقم (٢٧٥٣) من حديث=

كان حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها» فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: «إن فى الجنة مائة درجة للمجاهدين فى سبيله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلا الجنة، أراه فوقه عرش الرحمن، وفيه تفجّر أنهار الجنة »[١]، « رأيت الليلة رجلين أتيانى فصعدا بى الشجرة، فأدخلانى دارا هى أحسن وأفضل، لم أر دارا قط أحسن منها، قالا: أمّا هذه الدار فدار الشهداء» [٢]، «لغدوة فى سبيل الله أو روحة، خير من الدنيا وما فيها»[٣]، « لقاب قوس فى الجنة، خير مما تطلع عليه

---

= أبى هريرة مرفوعا بنحوه ، والدارمىُّ فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فضل الجهاد ٢/ ٢٠٠ من حديث أبى هريرة مرفوعاً بنحوه، والترمذى فى: السنن : كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء فى فضل الجهاد ٤/ ١٦٤، ١٦٥ رقم (١٦٢٠) من حديث أنس ﷺ مرفوعًا بلفظ: قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : المجاهد فى سبيل الله هو علىّ ضامن، إن قبضته أورثته الجنة، وإن رجعته رجعته بأجر أو غنيمة»، وعقب عليه بقوله : « هو صحيح غريب من هذا الوجه»، ومالك فى: الموطأ: كتاب الجهاد: باب الترغيب فى الجهاد ص٢٩٤ رقم (٩٦٥) من حديث أبى هريرة مرفوعاً، وأحمد فى: المسند٢/ ١١٧ من حديث ابن عمر المذكور آنفاً عند النسائى ٢٣١ ، ٣٨٤ ، ٣٩٩ ، ٤٢٤ ، ٤٩٤ من عدة طرق عن أبى هريرة ﷺ مرفوعاً به وبنحوه .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجهاد: باب درجات المجاهدين فى سبيل الله ٤/ ١٩، وكتاب التوحيد: باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ٩/ ١٥٣ من حديث أبى هريرة مرفوعاً به، والترمذى فى: السنن: كتاب وصف الجنة : باب ماجاء فى صفة درجات الجنة ٤/ ٥٨٢، ٥٨٣ رقم (٢٥٢٩ ـ ٢٥٣٢) من حديث أبى هريرة بنحو هذا اللفظ مع اختصار شديد وعقب بقوله: « هذا حديث حسن غريب» من رواية عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل، وعقب بقوله: «هكذا روى هذا الحديث عن هشام بن سعد، عن يزيد ابن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبادة بن الصامت، وعطاء لم يدرك معاذ بن جبل، ومعاذ قديم الموت، مات فى خلافة عمر»، ومن حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعا بلفظ: « إن فى الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن لوسعتهم» وعقب بقوله: «هذا حديث غريب»، وأحمد فى: المسند ٢/ ٢٣٥ من حديث أبى هريرة مرفوعاً به.

(٢) الحديث أخرجه البخارى: فى: الصحيح: كتاب الجهاد: باب درجات المجاهدين فى سبيل الله ٤/ ٢٠ من حديث سمرة بن جندب مرفوعاً به، وكتاب الجنائز: باب منه ٢/ ١٢٥، ١٢٦، على أنه قطعة من حديث طويل لسمرة أيضاً، وأحمد فى: المسند ٥/ ١٤، ١٥ من حديث سمرة بنحو رواية البخارى المذكورة فى كتاب الجنائز آنفاً.

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب الغدوة والروحة فى سبيل الله ٤/ ٢٠ من حديث أنس مرفوعاً به، وكتاب الجهاد : باب الحور العين وصفتهن ٤/ ٢٠ من حديث أنس أيضا على أنه قطعة من حديث طويل، وكتاب الرقاق: باب مثل الدنيا فى الآخرة ٨/ ١١٠، من حديث سهل على أنه جزء حديث، وباب صفة الجنة والنار ٨/ ١٤٥ من حديث أنس على أنه قطعة من حديث طويل: جاءت أم حارثة تسأل فيه عن مصير ولدها، فأجاب به، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل الغدوة والروحة فى سبيل الله ٣/ ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ رقم (١١٢ ـ ١١٤) من حديث أنس، وسهل وأبى هريرة ، والترمذى فى : السنن : كتاب فضائل الجهاد : باب ماجاء فى فضل الغدوّ والرواح فى =

الشمس وتغرب » (١)، «لغدوة أو روحة فى سبيل الله، خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»(٢)، «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا فى سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد»(٣)، «من أظل رأس غاز أظله الله يوم القيامة» (٤) ، «من قاتل فى سبيل الله عز وجل فواق ناقة لتكون كلمة الله هى العليا وجبت له الجنة » (٥) ، «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله تعالى، حتى يعود

---

= سبيل الله ، وباب ما جاء فى فضل المرابط ٤/ ١٨٠ ــ ١٨٢ رقم ( ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥١) من حديث سهل وأبى هريرة وأنس، و٤/١٨٨، رقم (١٦٦٤ ) من حديث سهل، وعقب على روايته الأولى بقوله: «هذا حديث صحيح حسن » وعلى رواية أبى هريرة بقوله : « هذا حديث حسن غريب » ، وعلى رواية أنس: «هذا حديث صحيح »، والنسائى فى : السنن: كتاب الجهاد: باب فضل غدوة فى سبيل الله عز وجل ٦/ ١٥ من حديث سهل بن سعد، والدارمى فى : السنن: كتاب الجهاد: باب الغدوة فى سبيل الله عز وجل والروحة ٢/٢٠٢ من حديث سهل بن سعد، وأحمد فى: المسند ١ /٢٥٦ من حديث ابن عباس مرفوعاً به ٢/ ٥٣٢، ٥٣٣ من حديث أبى هريرة ٣/ ١٣٢، ١٤١، ١٥٣، ١٥٧، ٢٠٧، ٢٦٣، ٢٦٤ من عدة طرق عن أنس بن مالك ، ٤/ ٩٦٨ من حديث سفيان بن وهب الخولانى مرفوعاً به، ٥/ ٢٦٦ من حديث أبى أمامة، ٥ / ٣٣٥ ، ٣٣٧ من حديث سهل بن سعد، ٥ / ٤٢٢ من حديث أبى أيوب الأنصارى ، ٦/ ٤٠١ من حديث معاوية بن خديج مرفوعاً به .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح: كتاب الجهاد: باب الغدوة والروحة فى سبيل الله وقاب قوس أحدكم من الجنة ٤/ ٢٠،وكتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار ٨/ ١٤٥، والترمذى فى: السنن: كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء فى فضل الغدو والرواح فى سبيل الله ٤/ ١٨١، ١٨٢ رقم (١٦٥١) وعقب عليه بقوله: «هذا حديث صحيح » ، وأحمد فى : المسند ٢/ ٤٨٢ من حديث أبى هريرة مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: ، كتاب الجهاد: باب الغدوة والروحة فى سبيل الله وقاب قوس أحدكم من الجنة ٤/ ٢٠ من حديث أبى هريرة، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل الغدوة فى سبيل الله ٣/ ١٥٠٠ من حديث أبى أيوب ﷺ مرفوعاً،والنسائى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فضل الروحة فى سبيل الله عز وجل ٦/ ١٥ من حديث أبى أيوب، وأحمد فى: المسند ٥/ ٤٢٢ من حديث أبى أيوب مرفوعاً به .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجهاد: باب الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل ٤/ ٢٨، ٢٩، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة : باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ٣/ ١٥٠٤ ـ ١٥٠٥ رقم (١٢٨، ١٢٩)، والنسائى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب اجتماع القاتل والمقتول فى سبيل الله فى الجنة، وباب تفسير ذلك ٦/ ٣٨ ،٣٩، وابن ماجه فى: السنن: المقدمة: باب فيما أنكرت الجهمية ١/ ٦٨ رقم (١٩٠)، ومالك فى: الموطأ: كتاب الجهاد: باب الشهداء في سبيل الله ص٣٠٦ رقم (٩٩١)، وأحمد فى: المسند ٢ /٣١٨، ٤٦٤، كلهم من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعاً، واللفظ للبخارى .

(٤) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ١/ ٢٠، ٥٣ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعاً به، وأورده البيهقى فى : السنن: كتاب السير: باب فضل الإنفاق فى سبيل الله عز وجل٩/ ١٧٢، والمنذرى فى : الترغيب والترهيب: كتاب الجهاد: باب الترغيب فى النفقة فى سبيل الله عز وجل ٢/ ٣٥٥ عن عمر، وعقب عليه بقوله: «ورواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى » .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فيمن سأل الله تعالى الشهادة ٣/ ٢١ رقم =

اللبن فى الضرع، ولايجتمع على عبد غبار فى سبيل الله تعالى ودخان جهنم» [١] ، «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله تعالى، وعين باتت تحرس فى سبيل الله تعالى»[٢]، «وما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار» [٣]، إلى غير ذلك من النصوص .

## رابعا: العوامل التى تساعد على حبِّ الجهاد، وغرسه فى النفوس :

ولاشك أن هناك عوامل كثيرة تساعد على حبَّ الجهاد، وغرسه فى النفوس، نذكر منها :

---

= (٢٤٥١) من حديث معاذ، والترمذى فى: السنن : كتاب فضائل الجهاد: باب ماجاء فى فضل الغدو والرواح فى سبيل الله ٤/ ١٨١ رقم (١٦٥٠) من حديث أبى هريرة على أنه جزء من حديث طويل، وعقب عليه قائلا: «هذا حديث حسن»، والنسائى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب ثواب من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة ٦/ ٢٥، ٢٦ من حديث معاذ،وابن ماجه فى: السنن: كتاب الجهاد: باب القتال فى سبيل الله سبحانه وتعالى٢/ ٩٣٢ ـ ٩٣٤ رقم (٢٧٩٢)، والدارمىُ فى: السنن: كتاب الجهاد: باب ثواب من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة ٦/ ٢٥، ٢٦ من حديث معاذ، وأحمد فى: المسند ٢/ ٥٢٤ من حديث أبى هريرة ، ٤/ ٣٨٧ من حديث عمرو بن عبسة ، ٥/ ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، من حديث معاذ ﷺ .

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء فى فضل الغبار فى سبيل الله ٤/ ١٧١ رقم (١٦٣٣) ، وكتاب الزهد: باب ماجاء فى فضل البكاء من خشية الله ٤/ ٥٥٥ رقم (٢٣١١) من حديث أبى هريرة مرفوعاً، وعقب على حديثه قائلا : « هذا حديث حسن صحيح » ، والنسائى فى: السنن: كتاب الجهاد: باب من عمل فى سبيل الله على قدمه ٦/ ١٢من حديث أبى هريرة، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الجهاد : باب الخروج فى النفير ٢ / ٩٢٧ رقم (٢٧٧٤) من حديث أبى هريرة مقتصراً على الجزء الأخير منه ، وأحمد فى: المسند٢/ ٢٥٦ ، ٣٤٠، ٣٤٢ ، ٤٤١، ٥٠٥ من حديث أبى هريرة مرفوعاً به .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء فى فضل الحرس فى سبيل الله ٤/ ١٧٥ رقم (١٦٣٩) من حديث ابن عباس، وعقب على حديثه قائلا: «وحديث ابن عباس حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق»، وأورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب: كتاب الجهاد: باب الترغيب فى الحراسة فى سبيل الله ٢/ ٢٤٨ وعقب عليه قائلا: «رواه الترمذى وقال: حديث حسن غريب» .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجمعة: باب المشى إلى الجمعة ٢/ ٩، وكتاب الجهاد: باب من اغبرت قدماه فى سبيل الله : باب ما جاء فى فضل من اغبرت قدماه فى سبيل الله ٤/ ٢٥ من حديث أبى عيسى عبد الرحمن بن جبير مرفوعاً به ، والترمذى فى:السنن: كتاب فضائل الجهاد : باب ما جاء فى فضل من اغبرت قدماه فى سبيل الله ٤/ ١٤٦رقم (١٦٣٢) من حديث أبى عيسى، وعقب عليه قائلا: «هذا الحديث حسن غريب صحيح»، والدارمىُ فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فى فضل الغبار فى سبيل الله ٢/ ٢٠٢ من رواية عبد الله بن سليمان: أن مالك بن عبد الله مرّ على حبيب ابن مسلمة أو حبيب مرَّ على مالك وهو يقود فرسا،وهو يمشى، فقال : ألا تركب ، حملك الله، فقال: إن رسول اللهﷺ قال : « من اغبرت قدماه ... » الحديث .

١ ـ التعريف بالله تعالى، وبنعمه على عباده، وذلك من خلال الكون المسطور ـ القرآن الكريم ـ والقرآن المنظور ـ النفس، والكون ـ كما قال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)** ﴾ [يونس] ، ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)** ﴾ [الذاريات]، ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾ [فصلت: ٥٣] ، ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ [ الروم: ٨ ].

وسيظهر من هذا التعريف أن لله حقا على عباده، وأن شكر هذا الحق إنما يكون بالجهاد فى سبيل الله بأوسع ما تدل عليه كلمة جهاد.

٢ـ بيان المصير والعاقبة، وأن الجهاد هو سبيل النجاة من هذا المصير، ومن هذه العاقبة، كما دلّت على ذلك النصوص التى ذكرنا آنفا، فإن ذلك من شأنه أن يولد شوقا وحنينا، بل عشقا للجهاد فى سبيل الله.

٣ـ التبصير والتذكير بفوائد الجهاد وثمراته فى الدنيا والآخرة، وكذلك التبصير والتذكير بعواقب ترك الجهاد وآفاته فى الدنيا والآخرة، فإن ذلك من شأنه أن يجعل النفوس تتعلق بالجهاد وبالشهادة فى سبيل الله،فتندفع لاتلوى على شىء إلا على إعزاز دين الله،والتمكين له فى الأرض، وإن نال هذه النفوس من وراء هذا الجهاد ما نال .

٤ـ التبصير والتذكير بحقيقة العدوّ، وأسلوبه فى الكيد والمكر، فإن هذا من شأنه أن يولد فى النفوس الحرة الأبيَّة الكريمة شدةً على الكافرين ، تتمثل فى جهاد هذه النفوس لهؤلاء الأعداء، بكل ما تملك من أسلوب ووسيلة ؛ لئلا يسبقونا فيكون البوار، والخسران المبين .

٥ـ التبصير والتذكير بدورنا ـ نحن المسلمين ـ ورسالتنا فى الأرض، ومنزلتنا ومكانتنا عند الله، فإن ذلك من شأنه أن يشعل جذوة الجهاد فى الصدور، وأن يولد الحماس، والعاطفة، والعزيمة الصادقة والتى تتمثل فى العمل بالليل والنهار بكل ما فى الوسع، والطاقة، دون فتور، أو توان، ودون كسل أو ملل، ودون خوف إلا من الله، ودون طمع فى مغنم أو جاه إلا أداء هذا الدور، وتحقيق هذه الرسالة.

فقد سأل رستم قائد جيوش الفرس الصحابيّ الجليل ربعى بن عامر قائلا : ما جاء بكم ؟ فردَّ عليه : « الله ابتعثنا لنخرج منْ شاء من عبادة العباد، إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه، ورجعنا عنه، ومنْ أبى قاتلناه أبدا، حتى نفضى إلى موعود الله » ، قالوا : وما موعود الله ؟ قال : « الجنة لمن مات على قتال منْ كفر، والظفر لمن بقى »(١).

ودخل عبادة بن الصامت على المقوقس فى وفد جيش عمرو بن العاص ، فعرض عليهم المقوقس المال لقاء رجوعهم عن مملكته، وابتسم عبادة من هذه العقلية التى لا تعرف ربًا غير المال، ثم قال له فى أناة: « أبالدنيا تغرينا ؟ والله ما خرجنا من بيوتنا إلا ونحن ندعو ألا يعيدنا إليها، وأن يكتب لنا الشهادة فى سبيل دعوته »(٢) .

٦ـ مراعاة أنسب الأساليب والوسائل لطبع النفوس على الجهاد والموت فى سبيله، مثل: الأسوة والقدوة، المرحلية والتدرج، التدريب بالنزول إلى الميدان العملى، ضرب المثل، القياس، الرسوم، الصور، القصة، الترغيب والترهيب، وهكذا، فإن ذلك ييسر على النفس حبَّ الجهاد، والتضحية فى سبيله بالغالى والنفيس .

## ما يستفاد من الحديث دعـويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا فوائد عدَّة، نذكر منها :

١ـ أن الجهاد فى سبيل الله من أعظم القربات التى يتقرب بها المسلم إلى اللّه عز وجل، وقد سقنا من النصوص القرآنية والحديثية غير حديث الباب ما يشهد بذلك.

٢ـ أن من أنجح أساليب التربية: الإجمال ثم التفصيل، أو الإيجاز ثم الإطناب، فإن ذلك منْ شأنه أن يسكب المعنى المراد فى النفوس، من دون عناء، أو تعب، فإن النبىﷺ لما سئل عن الذى يعدل الجهاد فى سبيل الله، لم يجب إلا بأن الجهاد عمل عظيم ضخم لايعدله شىء إلاجهاد مثله، ولكن بعبارة موجزة ومجملة فى نفس الوقت: «لاتستطيعونه». فتطلعتْ النفوس إلى بيان أوضح، وتفصيل أدق، فقال: «مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم . . .» الحديث، فسكب المعنى الذى أراد إيصاله إلى النفوس بسهولة ويسر .

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٩، وعنه نقل الأستاذ أبو الحسن الندوى فى كتابه : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٠٤ .

(٢) انظر : رسالة وحى الذكرى للأستاذ محمد المجذوب ، طبع ضمن رسائل مسجد الجامعة ١ / ٢٢٦ .

٣ـ أهمية ضرب الأمثال فى التربية والتعليم، إذ من شأن هذا أن يبرز المعنى المعقول فى صورة المحسوس، وأن يقرب البعيد بحيث يبدو جناه دانى القطاف، سهل المنال، وصدق الله : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾ [ العنكبوت ] .

٤ـ الحرص على ضرورة التذكير بالثواب ، ولاسيّما فى القضايا التى تكتنفها وتحيط بها المخاطر والمتاعب ، فإن ذلك يدفع المسلم إلى الاقتحام والتضحية دون خوف أو خجل .

وهذا آخر الجزء الثانى من كتاب : «توجيهات نبوية على الطريق » ، ويتلوه بعون الله تعالى، وتوفيقه، ومشيئته الجزء الثالث، وأوله حديث: « ثلاثة لاترى أعينهم النار: عينٌ حرستْ فى سبيل الله، وعينٌ بكتْ منْ خشية الله، وعينٌ كفّتْ عن محارم الله »، وصلى الله وسلم وبارك على سيّدنا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

الشارقة ـ الإمارات — وكتبه

١١ من جمادى الآخرة ١٤١٢هـ — أبو خـلاد / د. السـيد محمـد نـوح

١٧ من ديسمبر ١٩٩١م